

الْحِنْدَةُ



للإمام عبدالعزيز بن يحيى بن مسلم

الكناني المكي

الترقى سنة ١٢٤٠هـ

قام بتصحيحه والتعليق عليه
فضيلة الشيخ

إسماعيل بن محمد الأنصاري

عضو دار الإفتاء . سابقاً
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الناشر

دار الصميعي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية . الرياض . شارع السويدي العام

ص ب: ٤٩٦٧ . الرياض ١١٤١٢

هاتف : ٤٢٥١٤٥٩ . ٤٢٦٢٩٤٥ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

عنيزة: أمام جامع الشيخ ابن عثيمين هاتف ٠٦/٣٦٢٤٤٢٨ تليفاكس ٠٦/٣٦٢١٧٢٨

ح) اسماعيل محمد الأنصاري ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المكي ، عبدالعزيز الكناني

الحيدة / عبدالعزيز الكناني المكي ؛ اسماعيل محمد
الأنصاري - الرياض ١٤٢٨هـ

١٠٤ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك : ٢ - ٣٢٤ - ٥٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١ - القرآن - دفع مطاعن

أ - الأنصاري ، اسماعيل محمد (محقق) ب - العنوان

١٤٢٨/٥٢٨٠

ديوي ٢٤٠,٩٠١

رقم الايداع: ١٤٢٨/٥٢٨٠

ردمك: ٢ - ٣٢٤ - ٥٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

جميع الحقوق محفوظة لورثة المصحح

الناشر

دار الصميعي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام

ص.ب. ٤٩٦٧ الرياض ١١٤١٢

هاتف: ٤٢٥١٤٥٩ / ٤٢٦٢٩٤٥ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

عنيزة: أمام جامع الشيخ ابن عثيمين - هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ / ٠٦ تليفاكس ٣٦٢١٧٢٨ / ٠٦

الْحَيَّةُ

ترجمة المصحح

نقرأ في هذه الترجمة ذلك الجزء من سيرة الشيخ إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ ومكانته العلمية، ورسوخه في البحث العلمي، تم استخلاصها من كلام أصحاب الفضيلة العلماء، وطلبة العلم؛ حيث قالوا عنه^(١):
العلامة المحقق المدقق الناقد المحدث الثبت الفقيه اللغوي المرجع في رجال الحديث^(٢): إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي^(٣) الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ^(٤).

[من بحور العلم] وكاد ينفرد بعلم الإسناد، أخذ العلوم بالتلقي، وعن طريق الرواية والإسناد إلى مؤلفيها، إنه الوحيد الذي لديه إجازات كثيرة في كثير من العلوم^(٥)، أما الحديث وعلومه ورجاله فهو فارس

(١) استندنا لهذه الطريقة أخذًا بقول الإمام عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». وما كان من تصرف يسير فإنما هو لربط الأقوال بعضها ببعض لترجم لنا ذلك الجزء من سيرته رَحِمَهُ اللهُ. كتبه: أ. محمد بن إسماعيل الأنصاري.

(٢) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في جريدة المدينة ٢٠ محرم ١٤١٨ هـ العدد (١٢٤٦٠).

(٣) من ذرية الصحابي الجليل سعد بن عبادَة سيد الخزرج رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) (١٣٤٠-١٤١٧ هـ).

(٥) «لدي شهادات وإجازات علمية...، ويرجع عدم تحصيلي على الشهادات المتمشية على المناهج العصرية إلى أنها لم تكن شائعة زمن تعليمي ولا معروفة وإنما كان الشائع هو طريقة الإجازات من

ميدانه، فإنه يروي بالسند المتصل إلى مؤلفي الكتب صدقًا لا كذبًا^(١). إنه من خيرة العلماء، ومن أهل العقيدة الصافية، والمنهج السلفي السليم، ومن أخلص الناس ولاء لعقيدة التوحيد، وولاء لهذه الدولة السعودية التي قامت على أساس عقيدة التوحيد الخالص.... وهو يعتبر من العلماء النادرين ذوي المكانة العالية عند [سماحة] الشيخ محمد [بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ].... فكان الشيخ إسماعيل من المقرين عند سماحة الشيخ محمد رحمة الله عليه^(٢) لعلم الشيخ إسماعيل وصفاء

الشيخ. كتبه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ انظر: استمارة حصر الموظفين بالدقة عن آخر محرم سنة ١٣٨٢ هـ وزارة مصلحة الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية.

(١) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٢) نقرأ شيئًا من ذلك أيضًا في أحد رسائله الشخصية:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم الأستاذ الفاضل الشيخ إسماعيل الأنصاري - سلمه الله -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونرجو أن تكونوا بخير وعافية صحتنا وأحوالنا تسركم، وقد وصل إلي كتابكم، وسرنا وصولكم مكة بالسلامة، نحمد الله على ذلك أما ما ذكرتم من الشكر والدعاء، فالحقيقة أننا مهما عملنا معكم من الجميل، فنجدنا مسرورين بذلك؛ لأنه صادف كفوًا ومحلًا ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه ويجمع قلوبنا على طاعته، ومما يؤسفنا أن السنة التي قضيتها في الرياض لم نتحصل على فرصة تتيح لنا معكم مجلسًا خاصًا؛ نظرًا لما نحن ملزمون به من المشاغل الكبيرة، وأنتم وما شغلتم به من الدروس، ونرجو أن يهيئ ذلك عن قريب، وسلموا لنا على الأولاد ومن لديكم من إخواننا الطلبة، ولدي الأولاد والأخوة جميعا يسلمون، والله يحفظكم والسلام ١٣٧٤/٨/٢٢ هـ.

عقيدته^(١).

وفي عام ١٣٨٢ صدر أمر سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله بنقله إلى دار الإفتاء^(٢)؛ ليكون عضواً من أعضائها، الذين يعتمدهم سماحة مفتي البلاد في تهيئة الفتاوى والمراجعات والمسائل الدقيقة، يتولى تحضير البحوث العلمية^(٣)، وتحقيق الفتاوى الهامة^(٤).
عمل طيلة حياته قريئاً من [سماحة] الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله^(٥)، وكان يثق فيه ثقة كبيرة، ويثق في علمه الغزير، وكان يعتمد عليه في البحوث^(٦) في بحث المسائل، وتخريج الأحاديث، والكلام عليها

(١) انظر: كلام فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، في جريدة المسلمون ٤ ذي الحجة ١٤١٧ هـ العدد (٦٣٦).

(٢) «حيث نقله من التدريس في المعاهد والكلديات» كتبه: د. محمد بن محمد الأمين الأنصاري، انظر: جريدة المدينة ١٦ ذو الحجة ١٤١٧ هـ العدد (١٢٤٢٧).

(٣) «من خيرة العاملين في مجال البحوث العلمية» كتبه: فضيلة الشيخ سعد بن محمد آل فريان - أمين عام هيئة كبار العلماء بالنيابة آنذاك - انظر: خطاب رقم ٢/٥٠٤ وتاريخ ١٣٩٨/٢/٢٩ هـ.

(٤) انظر: ملحق رسالة «تصحيح حديث صلاة التراويح عشرين ركعة والرد على الألباني في تضعيفه»، تأليف: فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمته الله، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي بالرياض. الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.

(٥) انظر: كلام فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان، في جريدة المسلمون ٤ ذي الحجة ١٤١٧ هـ العدد (٦٣٦).

(٦) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

صحةً وضعفًا^(١)، كما كان يحيل إليه كثيرًا من الكتب التي تطبع في الإفتاء، ليتولى التعليق عليها، لتصويب خطأ أو توضيح مشكل^(٢).
وقد كان قلمًا قوي المنهج، وعميق البحث لدار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية في حياة [المفتي الأول] سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وفي عهد معالي الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ في رئاسته للإفتاء، واستمر هذا القلم العلمي المدافع عن الحق في رئاسة [المفتي الثاني] سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللهُ. وقد اهتم به سماحة الشيخ عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ اهتمامًا كبيرًا، ورأى أهمية مكانته العلمية، ورسوخه في البحث العلمي، واطلاعه الواسع على قضايا العقيدة ومصالح الإسلام والمسلمين، كما كان يدركه فيه المفتي الأول رَحِمَهُ اللهُ^(٣).
وقد بقي طوال هذه السنين عاكفًا على البحث والكتابة، والتعقب للمقالات التي تعترض على التوحيد^(٤)، أو تنقد شيئًا من تعاليم الإسلام، وألف في ذلك عدة رسالات مطبوعة مشهورة في فنون متعددة، ولم يزل

(١) ولديه تمكن في علم الجرح والتعديل وعلم الحديث رَحِمَهُ اللهُ، قاله فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان، انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: كلام فهد بن عبدالعزيز العسكر، في مجلة الدعوة ٢ محرم ١٤١٨ هـ العدد: ١٥٩٠.

(٣) انظر: كلام د. محمد بن محمد الأمين الأنصاري، في المرجع السابق.

(٤) فهو بحق من خيار العلماء.. ومن خيارهم غيرة على عقيدة التوحيد، واهتمامًا بها قاله: فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، انظر: المرجع السابق.

عاملًا في إدارات البحوث العلمية والإفتاء^(١).

حيث تربع فيها بكل تواضع وجدارة في البحث العلمي، ويحال إليه كل معضلة وقضية علمية شارحًا وناقداً ومحرراً، وهو بحق من حفاظ هذا القرن^(٢). نخدم العلم سنين طويلة بالتأليف والتدريس في هذه البلاد، واستغرق ذلك جل وقته^(٣).

فقام بتأليف طائفة من البحوث العلمية، والردود الحديشية، أيضاً وأعد بحوثاً أخرى لم تنشر، كما حقق كتباً كثيرة طبعت على نفقة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وشارك في تحقيق كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، وعلق وصحح جملة من المؤلفات^(٤)، كما أن له العديد من المقالات العلمية المرموقة، نشرها في عدد من المجلات^(٥) والجرائد^(٦).

(١) انظر: كلام فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، في جريدة المسلمون ٤ ذي الحجة ١٤١٧ هـ العدد (٦٣٦).

(٢) انظر: كلام د. محمد بن محمد الأمين الأنصاري، في المرجع السابق.

(٣) انظر: كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمته الله، في خطاب رقم ١٢٥١/خ وتاريخ ١١/٩/١٤٠٦ هـ.

(٤) انظر كلام د. الوليد بن عبدالرحمن الفريان، في جريدة المسلمون ٤ ذي الحجة ١٤١٧ هـ العدد (٦٣٦).

(٥) إنني أتابع كتاباتكم يا فضيلة المحب في مجلة المنهل، فأستفيد منها، وأدعو لكم بظهر الغيب، لقد حباكم الله جرأة في الحق، وصبراً على الملامة. كتبه: فضيلة الشيخ عبدالله الخياط إمام الحرم المكي سابقاً رحمته الله، في رسالة شخصية بتاريخ ١٨/٧/١٣٨٥ هـ.

(٦) انظر: كلام فهد بن عبدالعزيز العسكر، في المرجع السابق.

وفي عام ١٤٠٢ منح من قبل رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد شهادة علمية، بدرجة: أستاذ؛ لبحوثه القيمة للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١).

وخير شاهد على مؤلفاته وتحقيقاته وتعقباته علماء فحول يشنون على عمله^(٢):

١- قال عنه سماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللهُ إبان رئاسته - الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء - : «فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري أحد العلماء المعتمدين . . . ، وقد أسندنا إليه إعداد بحوث علمية تتولى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الاستعانة بها في تقديم بحوثها إلى هيئة كبار العلماء، لدراسة مواضيعها لدى الهيئة في دوراتها، وليس لدينا في الرئاسة من البحا^(٣)ث من هو أفضل منه علمًا ونشاطًا وقدرة وسعة اطلاع^(٤)»، وهو بحق يعتبر من العلماء الأفاضل^(٥).

(١) انظر: مجلة المنهل السنة ٤٨ - المجلد ٤٤ المحرم وصفر ١٤٠٢هـ.

(٢) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٣) وفضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ أحد البحا^(٣)ث المتعاونين باللجنة الدائمة المتفرعة عن هيئة كبار العلماء - سابقًا - انظر: خطاب رقم ٣/٨٩١١ س وتاريخ ١٣٩٢/٥/٩هـ.

(٤) «وظهر لنا من القدرة على الاطلاع ومعرفة المراجع، وأماكن البحوث في أمهات الكتاب». قاله: فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: خطاب رقم ٢٥٣٣ ن/ وتاريخ ١٣٩٧/٤/١٨هـ.

٢- قال عنه معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ إبان رئاسته - الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء - إنه: «على درجة عالية من الجودة والإتقان في إعداد بحوث علمية مطولة للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ولهيئة كبار العلماء، ودراسة كثير من الكتب وتنقيحها، وتصحيح بعض المخطوطات العلمية والكتب والرسائل التي تقوم هذه الرئاسة بطباعتها في إطار نشر الكتب السلفية النافعة»^(١).

٣- قال عنه فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان - رئيس مجلس القضاء الأعلى، وعضو هيئة كبار العلماء -: «كان واسع الإطلاع نقي السريرة، من النوادر في الاهتداء إلى مواطن البحث العلمي وأماكن المسائل، فكانت له طريقته الفذة...، وكان على قدر كبير من معرفة الحديث ورجاله والفقه والعقيدة، وهو من النوادر في معرفة أماكن البحث في عدد من الكتب إذا أراد إعداد بحث معين سرعان ما يحدد أماكن أصوله...، وكان يقوم بالعمل الذي يوكل إليه خير قيام في إعداد بعض البحوث التي تطلب منه والتحضير لها، وربما قام بالرد على بعض الأمور على الذين يخالفون العقيدة الصحيحة في كتاباتهم»^(٢).

٤- قال عنه فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين - عضو اللجنة الدائمة للإفتاء - سابقاً -: «تولى كتابة البحوث التي تطلب من الدار،

(١) انظر: خطاب رقم: ١/١٧٠١ وتاريخ ١٢/٤/١٣٩٤هـ.

(٢) انظر: جريدة المسلمون ٤ ذو الحجة ١٤١٧ هـ العدد (٦٣٦).

والإجابة التحريرية على الأسئلة، وإعداد المقالات المطلوبة من دار الإفتاء، وقام بذلك أتم قيام فقد وهبه الله - تعالى - القدرة على الإنشاء وسهلت عليه الكتابة، وتمكن من الإطلاع على الكتب ومعرفة محتوياتها^(١).

٥- قال عنه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله حينما كان - نائب رئيس المعاهد والكليات العلمية آنذاك - هذه المقطوعة الشعرية^(٢):

أيها العالم الحصيف هنيئًا	لك هذا العطاء من العلم بحره
كم دفين في قاعه كان نسيًا	صغته للأنام في حسن صنعه
كم جهول قد قال في العلم قولًا	ظنه الحق فانبريت لهدمه
كم صفيق قد نال من سلف الأمة	تجهيلًا سمته سوء خسفه
خبطوا كالعشواء في كل بحث	كيف يعطي العطاء فاقد له
فأبنت الصواب في غير ما مسـ	أله تدفق الجهول برمسه
تدفع الباطل اللجوج بحق	مشرق في السماء إشراق شمسـه
نفثات من فيض علمك تترى	في بحوث جلي تعج بنفحه
كم كتاب حققت حتى كأن الله	قد صاغ فيه أنفاس قدسه
عشت يا إسماعيل للبحث والتحقيق	نبراس من يتيه بدربه

وكانت مؤلفاته تتسم: بالمتانة والقوة والجدية والموضوعية، وقد تميز

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: جريدة المدينة ٧ ذو القعدة ١٣٩٢ هـ العدد (٢٦٤١).

بدفاعه عن الحديث ورجاله بمؤلفاته التي تفوق الوصف بدقة الرصف^(١).
كان أمله العظيم في حماية الدين، ونشر العقيدة، بما ستخرجه
المعاهد والكلليات من طلاب سوف يحملون مشاعل الدين والدعوة إلى
الله، فيعود للإسلام مجده وعزه^(٢).

تتلمذ على يديه الكثير من الذين يحملون الدكتوراه، فهو كالمعدن
التمين الذي لا يعرفه إلا المختصون^(٣) بمعرفة المعادن^(٤).

وفي عام ١٤٠٥ . أحيل للتقاعد، ثم تعاقدت الدار معه للحاجة
الماسة إلى عمله^(٥)، ومع ذلك استمر يؤدي العمل الذي يوكل إليه في
هذا المجال^(٦). لقد عاش أمة وحده استفاد منه الكثير من علماء هذه
البلاد، ومن كبار العلماء، واستفاد منه غيرهم ممن يفد إلى هذه البلاد
للتعليم خاصة علم الحديث ورجاله، لقد أثرى المكتبة الإسلامية بكتب

(١) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٢) بقلم فضيلة الشيخ عمر بن عبد الجبار رحمته الله، انظر: جريدة البلاد ٢٣ رجب ١٣٧٩ هـ.

(٣) لقد رأيت فضيلة الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن آل جبرين - عضو اللجنة الدائمة للإفتاء
سابقاً - يقبل رأس الشيخ إسماعيل رحمته الله، والشيخ إسماعيل رحمته الله يحاول دفعه فلم
يستطع، وفضيلة الشيخ عبدالله يقول: أستاذي أستاذي. كتبه: محمد بن عبدالرحمن آل
إسماعيل. انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٥) انظر: كلام فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، في المرجع السابق.

(٦) انظر: كلام فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، في المرجع السابق.

عز لها نظير تسابق عليها الموافق والمخالف^(١).
وفي آخر حياته أصيب بأمراض مستعصية طال فيها تجلده وعلاجه
في المستشفيات حتى وفاه الأجل^(٢). فهو خسارة على الأمة بوفاته^(٣)
رحمة الله عليه^{(٤)(٥)}.



-
- (١) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.
(٢) انظر: كلام فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، في المرجع السابق.
(٣) فعرفته نعم الرجل ومن عام ١٣٨٠ هـ فهي المعرفة التامة إلى أن توفاه الله - رحمة الله عليه ..
قاله: فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، انظر: المرجع السابق.
(٤) انظر: كلام فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، في المرجع السابق.
(٥) جمعها ورتبها: أ. محمد بن إسماعيل الأنصاري - الوكيل الشرعي لورثة الشيخ إسماعيل
الأنصاري، للتواصل: ناسوخ ٠٠٩٦٦١٢٩٠٢١٩٠ - ص. ب ٥٠٧١٩ الرياض
١١٥٣٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم بن ميمون الكنانى: اتصل بي - وأنا بمكة - ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن وغيره، ودعاية الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه، وتشبيهه على أمير المؤمنين - المأمون - وعامة أوليائه، وما قد وقع في الناس من المحنة، والأخذ في الدخول في الكفر والضلالة، ورهبة الناس وتخوفهم من مناظرته، وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسر به قوله وتدخل به حججه، ويطل به مذهبه، واستتار المؤمنين في بيوتهم، وانقطاعهم عن الصلاة في الجماعات والجمعات، وهربهم من بلد إلى بلد؛ خوفاً على أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجهال والرعا من الناس على كفره وضلالته، والدخول على بدعته، والانتحال بمذهبه؛ رغبة في الدنيا، ورهبة من العقوبة التي كان يعاقب بها من خالفه على مذهبه.

قال عبدالعزيز: فأزعجني قلقي، وأسهر ليلي، وأدام فكري، وأطال غمي وهمي، فخرجت من بلدي متوجهاً إلى ربي ﷻ، وأسأله سلامتي وتبليغي حتى قدمت بغداد، فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي، ففرغت إلى الله ﷻ أدعوه وأتضرع إليه راغباً وراهباً،

واضعًا له خدي، باسطًا إليه يدي، أسأله إرشادي، وتسديدي، وتوفيقي، ومعونتي، والأخذ بيدي، وأن لا يسلمني، وأن لا يكلني إلى نفسي، وأن يفتح لفهم كتابه قلبي، وأن يُطلق لِشَرْحِ بيانه لساني، وأخلصت لله نيتي، ووهبتُ له نفسي، فعجل - تبارك وتعالى - إجابتي، وثبت عزمي، وشجع قلبي، وفتح لفهم كتابه قلبي، وأطلق به لساني، وشرح به صدري، فأبصرت رشدي بتوفيقه إياي، وأنست إلى معونته ونصرته، ولم أسكن إلى مشاورة أحد من خلق الله ^{عَلَيْكَ} في أمري، وجعلت أسر أمري، وأخفي خبري على الناس جميعًا؛ خوفًا من أن يشيع خبري، ويعلم بمكاني، فأقتل قبل أن يُسمع كلامي، فأجمع رأيي على إظهار نفسي، وإشهار قولي ومذهبي على رعوس الأشهاد؛ والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال، والرد عليهم، وذكر كفرهم وضلاتهم، وأن يكون ذلك في المسجد الجامع في يوم الجمعة، وأيقنت أنهم لا يحدثون عليَّ حادثة، ولا يعجلون عليَّ بقتل ولا عقوبة بعد إشهاري نفسي، والنداء بمخالفته على رعوس الخلائق؛ إلا بعد مناظرتي والاستماع مني.

وكان الناس في ذلك الزمان في أمرٍ عظيم، قد منع الفقهاء، والمحدثون، والمذكرون من القعود في ذلك الجامع ببغداد، وفي غيرها من سائر المواضع؛ إلا بشرًا المريسي، ومحمد بن الجهم، ومن كان موافقًا لهما على مذهبهما؛ فإنهم كانوا يقعدون يُعَلِّمُونَ الناس الكفر والضلال، وكل من أظهر مخالفتهم على مذهبهم أو هم بذلك، أحضر، فسُئِلَ عن

قوله، فإن خالفهم وأبى أن يُوافِقَهُمْ على قولهم؛ قتلوه سرًّا أو جهراً، أو يحملوه إلى أرض أخرى فيقتل هناك، فكَم من قتيل لا يُعلم به، وكم من مضروب قد أظهر أمره، وكم أجابهم لما دعوه إليه، وتابعهم على قولهم - من العلماء؛ خوفاً على أنفسهم لما عرضه على السيف والقتل. أجابوا جزعاً، وفارقوا الحق عياناً وهم يعلمون لما حذروه من بأسهم والوقوع بهم.

قال عبدالعزيز: فلما كان يوم الجمعة التي عزمْتُ فيها على إظهار أمري، وإشهار قولي واعتقادي، صَلَّيْتُ الجمعة في مسجد الرصافة في الجانب الشرقي منها، حيال القبلة والمنبر في أول صفوف العامة، فلما سلم الإمام من صلاة الجمعة، وَثَبْتُ قائماً على رجلي؛ ليراني الناس، ويسمعوا كلامي، ولا تخفى عليهم مقالتي، وناديتُ بأعلى صوتي مخاطباً لابني، وكنت قد أقمته بحياالي عند الإسطوانة الأخرى.

وقلت: يا بني، ما تقول في القرآن؟ فقال ابني: كلام الله، منزل غير مخلوق، فلما سَمِعَ الناسُ مقالتي وكلامي لابني، وَجَّوَاهُهُ لي؛ هربوا على وجوههم خارجين من المسجد - إلا اليسير من الناس؛ خوفاً على أنفسهم، وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعون من قَبْلُ، وَظَهَرَ لَهُمْ ما كانوا يكتُمونه، فلم يُسْتَمَّ من ابني الجواب حتى جاء أصحاب السلطان، فاحتملوني وابني، فأوقفونا بين يدي عمرو بن مسعدة، وكان جاء ليُصَلِّي الجمعة، فلما نظر إلى وجهي، وكان قد سَمِعَ كلامي ومسألتي

لابني، وجواب ابني إياي، فلم يَخْتَجْ أن يسألني عن كلامي، فقال لي: أمجنون أنت؟ قلت: لا.

فقال: فموسوس أنت؟ قلت: لا. قال: فمعتوة أنت؟ قلت: لا، والحمد لله؛ وإني لصحيح العقل، جيد الفهم، ثابت المعرفة. قال: فمظلوم أنت؟ قلت: لا. فقال لأصحابه: مروا بهما سَحْبًا إلى منزلي. قال عبدالعزيز: فَحَمَلْنَا على أيدي الرجالة حتى أخرجنا من المسجد الجامع، ثم جعل الرجالة يتعادون بنا سَحْبًا شديدًا، وأيدينا في أيديهم يَمَنَةً ويسرة، وسائر أصحابه قدامنا وخلفنا؛ حتى صرنا إلى منزل عمرو بن مسعدة من الجانب الغربي على تلك الحالة الغليظة، فأوقفنا على بابه حتى دخل، فأمر بنا، فأدخلنا عليه وهو جالس في صحن دَارِهِ على كرسيٍّ من حديد، وشَوَارُهُ عليه، فلما صرنا بين يديه أَقْبَلَ عليّ، فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أهل مكة. قال: ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ بنفسك؟ قلت: طَلَبُ القربة إلى الله عَلَيْكَ، ورجاء الزُّلْفَةِ لديه. قال: فَهَلَّا فعلتَ ذلك سرًّا من غير نداء، ولا إظهار المخالفة لأمر المؤمنين، ولكن أردتَ الشهرة والرياء والسوء، ولتأخذ أموال الناس. فقلت: ما أردتُ إلا الوصول إلى أمير المؤمنين، والمناظرة بين يديه، لا غير ذلك. قال: أَوَتَفَعَّلُ ذلك؟ قلت: نعم؛ ولذلك قصدتُ، وبلغت بنفسي ما ترى، وتغري بنفسي، وسلوكي البراري أنا وولدي؛ رجاء تأدية حقِّ الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه، وما أخذه عليّ وعلى العلماء من البيان. فقال: إِنَّ

كنت إنما جعلت هذا سبباً لغيره؛ إذا وصلت إلى أمير المؤمنين فقد حل دمك لمخالفتك أمير المؤمنين. فقلت له: إن تكلمت في شيء غير هذا، وجعلت هذا ذريعة إلى غيره؛ فدمني حلالاً لأمر المؤمنين.

فَوَثَبَ عَمْرُو قَائِماً عَلَى رَجْلَيْهِ، وَقَالَ: أَخْرِجُوهُ بَيْنَ يَدَي. فَأَخْرَجَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَكِبَ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَأَنَا وَابْنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، يُعَدِّي بِنَا عَلَى وَجْهِنَا، وَأَيْدِينَا فِي أَيْدِي الرِّجَالَةِ؛ حَتَّى سَارُوا إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، فَدَخَلَ وَنَحْنُ فِي الدَّهْلِيزِ قِيَامًا عَلَى أَرْجُلِنَا، فَأَطَالَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَعَدَ فِي حَجْرَةٍ لَهُ، وَأَمْرِي فَأَدْخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَبْرِكَ، وَمَا فَعَلْتَ، وَمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُخَالَفِكَ لِلْمُنَازَظَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ أَمَرَ. أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ وَأَعْلَى أَمْرُهُ. بِإِجَابَتِكَ إِلَى مَا سَأَلْتَ، وَجَمَعَ الْمُنَازِظِينَ عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِلَى مَجْلِسِهِ. أَعْلَاهُ اللَّهُ. فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْأَدْنَى، وَيَحْضُرُ مَعَهُمْ لِيُنَازِلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَكُونُ هُوَ الْحَاكِمَ بَيْنَكُمْ.

قال عبدالعزیز: فَأَكْثَرْتُ حَمْدَ اللَّهِ وَشُكْرَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَأُظْهِرْتُ الدُّعَاءَ وَالشُّكْرَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ عَمْرُو: أَغْطَيْنَا كَفِيلاً بِنَفْسِكَ؛ حَتَّى تَحْضُرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَلَيْسَ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى حَبْسِكَ.

فقلت له: أدام الله عزك، أنا رجل غريب، ولست أعرف في هذه البلدة أحداً، ولا يعرفني من أهلها أحد، فَمِنْ أَيْنَ لِي مَنْ يَكْفُلُ بِي، خَاصَّةً

مع إظهاره مَقَالَتِي. لو كان الخلقُ يعرفونني حقَّ معرفتي لَتَبَرَّءُوا مِنِّي، وهربوا من قربي، وأنكروني. قال: فلو كل بك مَنْ يكون معك؛ حتى يُحضرَكَ في ذلك اليوم، وتنصرف، فتصلح من شأنك، وتَتَفَكَّرَ في أمرِكَ؛ فَلَعَلَّكَ أَنْ تَرْجِعَ عَنْ غَيِّكَ، وتتوب من فعلك؛ فيصفح أمير المؤمنين عنك.

فقلت: ذلك إليك - أعزك الله -، فَأَفْعَلْ ما رأيت، فوكل من يكون معي في منزلي - وَأَنْصَرَفَ.

قال عبدالعزیز: فلما صَلَّيْتُ الغداة في يوم الاثنين في المسجد الذي على باب بيتي، إذا خليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني، ومعه جمعٌ كثيرٌ من الفرسان والرجالة، فحملني مكرماً على دابة؛ حتى سار بي إلى دار أمير المؤمنين، فأوقفني هناك حتى جاء عمرو بن مسعدة، فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها، ثم أذن لي بالدخول، فدخلت، فلما صرْتُ بين يديه، أجلسني، ثم قال:

أنت مقيمٌ على ما كنتَ عليه أم رجعت عنه؟ فقلت: بَلْ مُقِيمٌ على ما كنتُ عليه، وَقَدْ ازْدَدْتُ - بتوفيق الله - بصيرة ورشداً.

فقال عمرو: يا أيها الرجل، قد حملتَ نفسك على أمرٍ عظيم، وبلغت الغاية في مكروهاها، وتعرضت لما لا قوام لك به مِنْ مخالفة أمير المؤمنين، وَأَدْعَيْتَ ما لا يثبت لك به حُجَّة على مخالفيك، وليس إلا السيف بعد ظهور الحجة عليك، فَأَنْظِرْ لِنَفْسِكَ، وَبَادِرْ أَمْرَكَ قبل أن تقع

المناظرة، وتظهر عليك الحجة؛ فلا تَنْفَعَكَ الندامة، ولا تُقبل لك معذرة، ولا تُقال لك عَثْرَةٌ، فقد رَحِمْتُكَ وأَشْفَقْتُ عليك مما هو بك نازلٌ، وأنا أَسْتَقِيلُ لك أمير المؤمنين، وأسأله الصَّفْحَ عن جرمك، وعظيم ما كان منك إِنْ أَظْهَرْتَ الرجوع عنه، والندم على ما كان منك، وأخذ لك الأمان منه - أيده الله - والجائزة، وإن كان بك مظلمةٌ أَزَلْتُهَا عنك، وإن كان لك حاجةٌ قَضَيْتُهَا لك؛ فَإِنَّمَا جَلَسْتُ رَحِمَةً لك مما هو نازلٌ بك بعد ساعة، إِنْ أَقَمْتَ على ما أنت عليه، ورجوت أن يُخَلِّصَكَ اللهُ على يدي من عظيم ما أوقعتَ نفسك به.

فقلت: ما ندمتُ - أعزك الله - على ما كان مِنِّي، ولا رجعتُ عنه، ولا خرجتُ من بلدي، وغررتُ بنفسي إلا في طَلَبِ هذا اليوم، وهذا المجلس؛ رَجَاءً أن يبلغني الله ما أَوْمَلُهُ من إقامة الحق، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلتُ، وهو حسبي، وَنِعْمَ الوكيل.

قال عبدالعزيز - رحمه الله تعالى -: فقام عمرو بن مسعدة على رجله، وقال: قد حرصتُ على خَلَاصِكَ جَهْدِي، وأنت حريصٌ على سَفْكِ دَمِكَ، وَقَتْلِ نَفْسِكَ.

فقلت: معونة الله - تبارك وتعالى - أَعْظَمُ وَالْطَّفُ من أن ينساني الله، أو يَكِلَنِي إلى نفسي، وَعَدْلُ أمير المؤمنين أَوْسَعُ من أن يقصر عني؛ وإِنَّمَا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال عبدالعزيز - رحمه الله تعالى -: فقام عمرو بن مسعدة، فدخل

بي، فأخرجت إلى الدهليز الأول، ومعى جماعة موكلون بي، وكان قد أمر بني هاشم أن يركبوا، وَوَجَّهَ إِلَى الْقَضَاةِ، وَالْفُقَهَاءِ الْمَوَاقِقِينَ لَهُمْ عَلَى مَذْهَبِهِمْ، وَسَائِرَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْمُنَظِّرِينَ أَنْ يَحْضُرُوا، وَالْقَوَادِ، وَالْأَوْلِيَاءِ، فَرَكِبَ الْقَوْمَ بِالسَّلَاحِ؛ لِيَرْهَبُونِي بِذَلِكَ، وَيَرْهَبُوا الرِّعِيَّةَ، وَأَمَرَ النَّاسَ جَمِيعًا أَنْ لَا يَنْصَرِفُوا حَتَّى نَتَفَرَّغَ مِنَ الْمَجْلِسِ.

فلما اجتمع الناس، وَتَنَاقَشُوا لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِمَّنْ يَعْرِفُونَهُ بِالْكَلَامِ وَالْجَدَلِ، أَذِنَ لِي بِالدَّخُولِ، فَلَمْ أَزَلْ أَتَقَبَّلُ مِنْ دَهْلِيزٍ إِلَى دَهْلِيزٍ؛ حَتَّى صَرْتُ إِلَى الْحَاجِبِ - صَاحِبِ السِّتْرِ الَّذِي عَلَى بَابِ الصَّحْنِ -، فَلَمَّا رَأَيْتُ، أَمَرَ بِي فَأَدْخَلْتَنِي إِلَى حَجْرَتِهِ، وَدَخَلَ مَعِيَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِ الْوَضُوءِ؟ قُلْتُ: مَا لِي إِلَى ذَلِكَ حَاجَةٌ. قَالَ: ازْكُغْ رَكَعَتَيْنِ. فَرَكَعْتُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَدَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ لِي: اسْتَخِرِ اللَّهَ، وَقُمْ فَأَدْخُلْ. وَخَرَجَ مَعِيَ إِلَى بَابِ الصَّحْنِ، وَشَالَ السِّتْرَ، وَأَخَذَ الرِّجَالَ بِيَدَيَّ وَعَضَّدِي، وَجَعَلَ أَقْوَامَ أَيْدِيهِمْ فِي ظَهْرِي، وَعَلَى رَقَبَتِي، وَجَعَلُوا يَتَعَادَوْنَ بِي، وَنَظَرَنِي الْمَأْمُونُ، وَأَنَا أَسْمَعُ صَوْتًا: خَلُّوا عَنْهُ. وَكَثُرَ الضَّجِيجُ مِنَ الْحِجَابِ وَالْقَوَادِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَخَلُّوا عَنِّي، وَقَدْ كَادَ يَتَغَيَّرُ عَقْلِي مِنْ شِدَّةِ الْجَزَعِ، وَعَظِيمِ مَا رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الصَّحْنِ مِنَ السَّلَاحِ، وَهُمْ مِلُّءُ الصَّحْنِ، وَكُنْتُ قَلِيلُ الْخَبَرَةِ بَدَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا رَأَيْتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَا دَخَلْتُهَا.

فلما صرْتُ عَلَى بَابِ الْإِيْوَانِ، وَقَفْتُ، فَسَمِعْتُ الْمَأْمُونَ يَقُولُ:

أَدْخِلُوهُ، قَرَّبُوهُ. فلما دخلتُ من باب الإيوان وَقَعَتْ عيني عليه، وَقَبْلَ ذلك لم أَتَّبِعْهُ لما كان على باب الإيوان من الحجاب والقواد، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثُمَّ قَالَ: اذْنُ مِنِّي. فَدَنَوْتُ مِنْهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: اذْنُ مِنِّي. فَدَنَوْتُ مِنْهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: اذْنُ. وَأَدْنُو، وَيُكَرِّرُ ذَلِكَ، وَأَنَا أَدْنُو خطوة خطوة حتى صرْتُ إلى الموضع الذي يَجْلِسُ فِيهِ الْمُتَنَازِلُونَ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، وَالْحَاجِبُ مَعِيَ يُقَدِّمُنِي، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ، قَالَ لِي الْمَأْمُونُ: اجْلِسْ. فَجَلَسْتُ.

قال عبدالعزیز: وسمعتُ رجلاً من جُلَسَائِهِ يَقُولُ . وقد دخلتُ الإيوان :- يا أمير المؤمنين، يكفيك من كلام هذا قُبْحُ وَجْهِهِ، فوالله ما رأيتُ خلقاً لله أقبح وَجْهاً منه. فسمعتُ قوله هذا وَفَهِمْتُهُ، وما رأيتُ شَخْصَةً عَلَى مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الْجَزَعِ وَالرَّعْدَةِ.

قال عبدالعزیز: وتبين لأمر المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فَجَعَلَ يَنْظُرُنِي، وَأَنَا أَزْتَعِدُّ خَوْفاً وَأَنْتَفِضُ، وَأَحَبُّ أَنْ يُؤَنِّسَنِي، وَيُسَكِّنَ رَوْعَتِي؛ فَجَعَلَ يَكْثُرُ كَلَامُ جُلَسَائِهِ، وَيَكْلِمُ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ، وَيَتَكَلَّمُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا؛ يَرِيدُ بِذَلِكَ كُلَّهُ إِيْنَاسِي، وَجَعَلَ يُطِيلُ النَّظَرَ إِلَى الإيوان، وَيُدِيرُ نَظْرَهُ فِيهِ، فَوَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنْ نَقْشِ الْجِصِّ، قَدْ انْتَفَخَ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو، مَا تَرَى هَذَا قَدْ انْتَفَخَ مِنْ هَذَا النِّقْشِ فِي هَذَا الْجِصِّ وَسَيَقَعُ، فَبَادِرْ فِي قَلْعِهِ وَعَمَلِهِ. فَقَالَ عَمْرُو: قَطَعَ

اللَّهُ يد صانعه؛ فإنه قَدْ اسْتَحَقَّ العقوبة على عَمَلِهِ هذا.

قال عبدالعزيز: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الْمَأْمُون، فَقَالَ: مَا الْاسْمُ؟ فَقُلْتُ: عبدالعزيز. قَالَ: ابْنُ مَنْ؟ قُلْتُ: ابْنُ يَحْيَى بْنِ مُسْلِم. قَالَ: ابْنُ مَنْ؟ قُلْتُ: ابْنُ مَيْمُون الْكِنَانِي. قَالَ: أَوَأَنْتَ مِنْ كِنَانَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَتَرَكَنِي هَنِيئَةً لَا يُكَلِّمُنِي، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: مِنَ الْحِجَاز. قَالَ: وَمِنْ أَيِّ الْحِجَازِ؟ قُلْتُ: مِنْ مَكَّة. قَالَ: وَمَنْ تَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ مَكَّة؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قُلْ مَنْ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ؛ إِلَّا رَجُلَ ضَوْى إِلَيْهَا أَوْ مَنْ جَاوَرَ بِهَا؛ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُهُ. قَالَ: تَعْرِفُ فُلَانًا وَفُلَانًا؟ حَتَّى عَدَدَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، كُلُّهُمْ أَعْرِفُهُمْ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: نَعَمْ. وَسَأَلَنِي عَنْ أَوْلَادِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، فَأَخْبَرْتُهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا تَقْدَمُ مِنْ مَسْأَلَتِي؛ وَإِنَّمَا يَرِيدُ إِيْنَاسِي، وَبَسْطِي لِلْكَلامِ، وَتَسْكِينِ رَوْعَتِي وَجَزْعِي، فَذَهَبَ عَنِّي مَا كُنْتُ فِيهِ، وَمَا لِحَقْنِي مِنَ الْجَزْعِ. وَجَاءَتِ الْمَعُونَةُ مِنَ اللَّهِ **وَعَلَيْكَ قَوِي** بِهَا ظَهْرِي، وَاشْتَدَّ بِهَا قَلْبِي، وَاجْتَمَعَ بِهَا فَهْمِي.

قال عبدالعزيز - رحمه الله تعالى -: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ الْمَأْمُون، وَقَالَ: يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ، إِنَّهُ قَدْ اتَّصَلَ بِي مَا كَانَ مِنْكَ، وَقِيَامُكَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَقَوْلُكَ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ... إلخ بحضرة الخلق، وعلى رءوس الخلائق، وما كَانَ مِنْ مَسْأَلَتِكَ بِذَلِكَ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُخَالَفِكَ عَلَى الْقَوْلِ؛ لِتَنَاطُرِهِمْ فِي حَضْرَتِي، وَفِي مَجْلِسِي، وَالِاسْتِمَاعِ مِنْكَ وَمِنْهُمْ، وَقَدْ جَمَعْتُ الْمُخَالَفِينَ لَكَ؛ لِتَنَاطُرِهِمْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَأَكُونُ أَنَا الْحَاكِمَ

بينكم، فَإِنْ تَبَيَّنَ الْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْهِمَ وَالْحَقُّ مَعَكَ؛ اتَّبِعْنَاكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْحُجَّةُ لَهُمْ عَلَيْكَ وَالْحَقُّ مَعَهُمْ؛ عَاقِبْنَاكَ، وَإِنْ اسْتَقَلَّتْ أَقْلَانَاكَ.

ثُمَّ أَقْبَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى بَشَرِ الْمَرِيْسِيِّ، وَقَالَ: يَا بَشَرُ، قُمْ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَنَظُرُهُ وَأَنْصِفُهُ. قَالَ: فَوَثَّبَ بَشَرُ الْمَرِيْسِيِّ مِنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ؛ كَالْأَسَدِ يَتَّبِعُ إِلَى فَرِيْسَتِهِ فَرَحًا، فَانْحَطَّ عَلَيَّ، فَوَضَعَ رِكْبَتَيْهِ وَفَخَذَهُ الْأَيْسَرَ عَلَى فَخْذِي الْأَيْمَنِ، فَكَادَ أَنْ يُحِطِّمَهُ وَغَمَزَ إِلَيَّ بِقُوَّتِهِ كُلَّهَا.

فَقُلْتُ: مَهْلًا؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَأْمُرْكَ بِقَتْلِي، وَلَا بِظُلْمِي؛ وَإِنَّمَا أَمَرَكَ بِمَنَازِلَتِي وَإِنْصَافِي. فَصَاحَ بِهِ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: تَنَحَّ عَنْهُ. وَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ حَتَّى بَاعَدَهُ مِنِّي.

قَالَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ، نَظَرْتُ عَلَى مَا تَرِيدُ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ، وَيَحْتَاجُ عَلَيْكَ، وَتَسْأَلُهُ وَيَسْأَلُكَ، وَتَنَاصَفَا فِي كَلَامِكُمَا، وَتَحَفُّظَا أَلْفَاظِكُمَا؛ فَإِنِّي مُسْتَمِعٌّ عَلَيْكُمَا، مُتَحَفِّظٌ أَلْفَاظَكُمَا. فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، فَيَأْذَنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ. قَالَ: قُلْ كَمَا تُرِيدُ. قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ مَنْ أَجْمَلَ مَنْ بَلَغَكَ مِنَ الْبَشَرِ، وَأَحْسَنَهُمْ وَجْهًا مِنْ جَمِيعِ وَلَدِ آدَمَ؟ قَالَ: يُوسُفُ. بَعْدَ أَنْ أَطْرَقَ مَلِيًّا.. فَقُلْتُ: صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا أُعْطِيَ يُونُسُ عَلَى حَسَنِ وَجْهِهِ جَرَادَتَيْنِ، وَلَقَدْ سُجِّنَ، وَضُيِّقَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ حَسَنِ وَجْهِهِ؛ ظَلَمًا بَغِيرَ حَقٍّ؛ بَعْدَ أَنْ وَقَفَ عَلَى بَرَاءَتِهِ، وَإِقْرَارِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ؛ أَنَّهَا هِيَ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَعْصَمَ،

فَحُبِسَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ لِحُسْنِ وَجْهِهِ؛ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (٢٥) ﴿يُوسُفَ: ٣٥﴾؛ فَدَلَّ بِقَوْلِهِ عَلَى أَنَّهُ حُبِسَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ، لَكِنِ الْعِلَّةُ حُسْنُ وَجْهِهِ، وَلِيُغَيِّرَهُ عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا؛ رَجَاءً تَغْيِيرِ حَلِيَّةِ وَجْهِهِ، وَلِيَذْهَبَ بِحُسْنِهِ، فَطَالَ فِي السِّجْنِ مُكْنَتُهُ حَتَّى عَبرَ الرُّوْيَا، وَوَقَفَ الْمَلِكُ عَلَى عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ، فَاشْتَاقَ إِلَيْهِ، وَرَغِبَ فِي صَحْبَتِهِ؛ فَقَالَ: ﴿أَتُؤْنِنِي بِهِ أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾ (يُوسُفَ: ٥٤) . وَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ مِنَ الْمَلِكِ بَعْدَ تَعْيِيرِ يُوسُفَ الرُّوْيَا، وَوُقُوفِ الْمَلِكِ عَلَى حُسْنِ عِبَارَتِهِ، وَكَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ، قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ؛ صَبَّرَهُ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا، وَاعْتَزَلَ مِنْهَا، وَصَارَ كَأَنَّهُ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ، فَكَانَ مَا بَلَغَهُ يُوسُفَ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِهِ وَعِلْمِهِ، لَا بِجَمَالِهِ وَحُسْنِ وَجْهِهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤) ﴿يُوسُفَ: ٥٤، ٥٥﴾ . وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي حَسَنٌ جَمِيلٌ، فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ كَانَ وَجْهِي أَقْبَحَ مِمَّا هُوَ مَعِيَ؛ فَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - مِنْ فَهْمِ كِتَابِهِ، وَالْعِلْمِ بِتَنْزِيلِهِ.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَرَدْتَ بِهَذَا الْقَوْلِ، وَمَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَيْهِ؟ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ هَاهُنَا يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَكْفِيكَ مِنْ كَلَامِ هَذَا قُبْحُ وَجْهِهِ. فَأَيُّ عَيْبٍ يُلْحِقُنِي فِي صِنْعَةِ رَبِّي ﷻ؟ فَتَبَسَّمَ الْمَأْمُونُ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ رَأَيْتُكَ تَنْظُرُ

هذا النقش في الحائط، وتُنَكِّرُ انتفاخ الجِصِّ، وَسَمِعْتُ عَمْرًا يَعِيبُ الصَّانِعَ، وَلَا يَعِيبُ الجِصَّ. فقال المأمون: العيبُ لا على الشَّيْءِ المصنوع؛ إنما العيب على صَانِعِهِ. فقلتُ: صَدَقْتَ يا أمير المؤمنين، وَقُلْتَ الحق، فهذا يَعِيبُ رَبِّي لِمَ خلقتني قبيحًا. فازداد تَبَسُّمًا حتى ظَهَرَ ذلك، فقال: يا عبدالعزيز، نَاطِرُ صَاحِبِكَ؛ فقد طَالَ المجلس بِغَيْرِ مَنَاطِرَةٍ.

قلتُ: يا أمير المؤمنين، كُلُّ متناظرَيْنِ على غَيْرِ أَصْلٍ يكون بينهما؛ يَرْجِعَانِ إليه إذا اختلفَا في شَيْءٍ من الفروع - فَهُمَا كَالسَّائِرِ على غير طريق، وهو لا يعرف المحجة فيتبعها، ولا يعرف الموضع الذي يُريد فيقصده، وهو لا يَدْرِي من أين جاء فَيَرْجِعُ؛ فيطلب الطريق، وهو على ضلال. ولكننا نُؤْصِلُ بيننا أصلًا؛ فإذا اختلفنا في شَيْءٍ من الفروع رَدَدْنَاهُ إلى الأصل، فإن وجدناه فيه؛ وَإِلَّا رَمِينَا به، ولم نلتفت إليه. قال المأمون: نَعَمْ ما قُلْتَ، فَادْكُرِ الأصل الذي تريد أن يكون بينكما. قلتُ: يا أمير المؤمنين، الأصل بيني وبينه؛ ما أمرنا الله ﷻ، واختاره لنا، وَعُلِّمَنَاهُ، وأدبنا به في التنازع والاختلاف، ولم يَكِلْنَا إلى غَيْرِهِ، ولا إلى أنفسنا واختيارنا؛ فَتَعَجَّز.

قال المأمون: وَهَلْ ذلك موجودٌ عن الله ﷻ؟ قلتُ: نَعَمْ يا أمير المؤمنين. قال: فَادْكُرْ ذلك. قلتُ: قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩] ؛ فهذا تعليم من الله، وتأديبه، واختياره لعباده المؤمنين؛ ما أَصْلَهُ المتنازعون بينهم، وقد تنازعتُ أنا وبشرُّ يا أمير المؤمنين، وبيننا كتابُ الله وسُنَّةُ نبيه محمد ﷺ كما أمر الله ﷻ فإذا اختلفنا في شيءٍ من الفروع رَدَدْنَاهُ إِلَى كتابِ الله ﷻ، فَإِنْ وجدناه فيه وَإِلَّا إِلَى سُنَّةِ نبيه ﷺ، فَإِنْ وجدناه فيها وَإِلَّا ضَرَبْنَا بِهِ الحائط، ولم نَلْتَفِتْ إليه.

قال المأمون: فافْعَلَا وَأَصْلًا بينكما هذا، وَاتَّفَقَا عليه، وأنا الشاهد عليكم، والحافظ لما يجري بينكما.

قال عبدالعزيز: قُلْتُ: يا أمير المؤمنين، إنه مَنْ أَلْحَدَ في كتابِ الله زائداً أو جاحداً؛ لم يُناظر بالتأويل، ولا بالتفسير. قال المأمون: بأي شيء تناظر؟ قلت: بنص القرآن بالتلاوة؛ قال الله ﷻ لنبيه ﷺ حين ادَّعَتِ اليهود تحريمَ أشياء لم تُحَرِّمَ عليهم: ﴿فَاتَوُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] ، وقال الله ﷻ لنبيه: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] ، وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] ، وقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢] ، فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل؛ فأما مَنْ أَلْحَدَ بالتنزيل فكيف

يُنَظَرُ بِالتَّأْوِيلِ؟ فَقَالَ الْمَأْمُونُ: وَيَخَالِفُكَ بِالتَّنْزِيلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ؛ لِيَخَالَفَنِي، أَوْ لِيَدْعَنَ قَوْلُهُ وَمَذْهَبُهُ وَلِيُوَاقِفَنِي. قَالَ: فَتَنَظِرُهُ بِالتَّلَاوَةِ، وَنَصُّ التَّنْزِيلِ. قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ عَبْدِ الْعَزِيزِ: فَأَقْبَلْتُ عَلَى بَشَرٍ، فَقُلْتُ: يَا بَشَرُ، مَا حُجَّتُكَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَأَنْظُرُ أَحَدًا سَهْمٍ مِنْ كُنَانَتِكَ فَارْمِنِي بِهِ، وَلَا تَحْتَجْ إِلَى مَعَاوَدَتِي لغيره.

قَالَ بَشَرٌ: تَقُولُ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ الْقُرْآنُ شَيْءٌ أَمْ غَيْرُ شَيْءٍ؟ فَإِنْ قُلْتُ: شَيْءٌ، فَقَدْ أَقَرَرْتُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ إِذْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةً بِنَصِّ التَّنْزِيلِ، وَإِنْ قُلْتُ: إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَقَدْ كَفَرْتُ؛ لِأَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ.

قَالَ عَبْدِ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبَشَرٍ: مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا!! تَسْأَلُنِي وَتُجِيبُ عَن نَفْسِكَ، فَإِنْ تَسْأَلُنِي لِأَجِيْبِكَ؛ فَاسْمَعْ الْجَوَابَ مِنِّي، فَإِنِّي أَحْسِنُ أَنْ أَجِيبَكَ، وَأَعْبِرَ عَن نَفْسِي، وَإِنْ تُرِيدُ أَنْ تَخْطُبَ وَتَتَكَلَّمَ؛ لِتُبْهِتَنِي وَتُنْسِنِي حُجَّتِي، فَلَنْ أَزْدَادَ - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّايَ - إِلَّا بِصِيرَةٍ وَفَهْمًا، وَمَا أَحْسَبُكَ يَا بَشَرُ إِلَّا وَقَدْ تَعْلَمْتَ شَيْئًا، أَوْ سَمِعْتَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ - وَالتِّي قَبْلَهَا -، أَوْ قَرَأْتَهَا فِي كِتَابٍ؛ فَأَنْتَ تَكْذِبُ أَنَّ تَقْطَعُهَا حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى آخِرِهَا.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: صَدَقَ عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ اسْمَعْ مِنْهُ جَوَابَ مَا سَأَلْتَهُ، ثُمَّ رُدَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شِئْتَ؛ ثُمَّ قَالَ لِي: تَكَلَّمْ فَأَجِبْ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ لِمَا سَأَلْتُكَ.

فقلت لبشر: سألت عن القرآن هو شيء أم غير شيء؛ فإن كنت تريد أنه شيء؛ إثباتاً للوجود، ونفيًا للعدم، فنعم؛ هو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له، وأنه كالأشياء؛ فلا.

فقال بشر: ما أدري ما تقول، ولا أفهمه، ولا أعقله، ولا أسمعه؛ ولا بُد من جواب يُعقل ويُفهم، إنه شيء أم غير شيء؟ قال: فقلت لبشر: صدقت؛ لأنك لا تفهم، ولا تعقل، ولا تسمع ما أقول، ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله ﷻ قوماً في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ قالوا مثل مقاتلك، وكانوا بمثل ما وصفت به نفسك؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۚ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۚ﴾، وقال - تعالى -: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۚ﴾ [الزخرف: ٤٠]، وقال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَت بِخَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۚ﴾ [البقرة: ١٦] إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]. ومثل هذا في القرآن كثير. ولقد مدح الله قوماً في كتابه بحسن الاستماع، وأثنى عليهم؛ فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ﴾ [الزمر: ١٨] الآية، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٨٣] الآية، وقال: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾.

فما اخترت لنفسيك ما اختاره الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا ما اختاره أهل الكتاب.

قال المأمون: دَغَ عنك هذا يا عبدالعزیز، وَاَزِجْ إِلَى ما كنت فيه، وَيَتَن ما قُلْتَهُ، وَاَشْرَحْهُ من ذكر الشيء. فقلت: يا أمير المؤمنين، إِنَّ اللَّهَ أَجْرِي كَلَامِهِ عَلَى ما أَجْرَاهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ إِذْ كَانَ كَلَامُهُ مِنْ ذَاتِهِ، وَمِنْ صِفَاتِهِ، فَلَمْ يَتَّسِمَ بِالشَّيْءِ، وَلَمْ يَجْعَلِ الشَّيْءَ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ؛ وَلَكِنَّهُ دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ؛ إِثْبَاتًا لِلْوُجُودِ، وَنَفْيًا لِلْعَدَمِ، وَتَكْذِيبًا لِلزَّنَادِقَةِ، وَمَنْ تَقَدَّمَ هُمْ مَنْ جَعَلَ مَعْرِفَتَهُ، وَأَنْكَرَ رُبُوبِيَّتَهُ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ؛ فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. فَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ شَيْءٌ كَالْأَشْيَاءِ، وَأَنْزَلَ فِي ذَلِكَ خَبْرًا خَاصًّا مَفْرَدًا؛ لَعَلِمَهُ السَّابِقُ أَنَّ جَهَنَّمَ، وَبَشَرًا، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمَا سَيُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيُسَبِّهُونَ عَلَى خَلْقِهِ، وَيُدْخِلُونَهُ وَكَلَامَهُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ؛ فَقَالَ ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فَأَخْرَجَ نَفْسَهُ، وَكَلَامَهُ، وَصِفَاتِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ بِهَذَا الْخَبَرِ؛ تَكْذِيبًا لِمَنْ أَلْحَدَ فِي كِتَابِهِ، وَافْتَرَى عَلَيْهِ، وَسَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ؛ وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ثُمَّ عَدَّدَ أَسْمَاءَهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَمْ يَتَّسِمَ بِالشَّيْءِ، وَلَمْ يَجْعَلِ الشَّيْءَ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ؛

قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». ثُمَّ عَدَّهَا؛ فَلَمْ نَجِدْهُ جَعَلَ الشَّيْءَ اسْمًا؛ فَقُلْتُ كَمَا قَالَ اللَّهُ، وَتَأَدَّبْتُ بِمَا أَدْبَنِي اللَّهُ، مُتَّبِعًا غَيْرَ مُبْتَدِعٍ، ثُمَّ ذَكَرَ - جَلَّ ذِكْرُهُ - كَلَامَهُ كَمَا ذَكَرَ نَفْسَهُ، وَدَلَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ؛ لِيَعْلَمَ الْخَلْقُ أَنَّهُ مِنْ ذَاتِهِ، وَأَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، فَقَالَ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ يُبَدِّلُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]. فَذَمَّ اللَّهُ مَنْ نَفَى أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ شَيْئًا، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَاطَرَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُ يَحْتَجُّ عَلَى الْيَهُودِيِّ مِنَ التَّوْرَةِ؛ بِمَا عَلِمَ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَكَرَ نُبُوته مِنَ التَّوْرَةِ، فَضَحِكَ الْيَهُودِيُّ وَبَاهَتْ؛ فَقَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ تَكْذِيبَهُ، وَذَمَّ قَوْلَهُ، وَأَعْظَمَ فِرْيَتَهُ حِينَ جَحَدَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ شَيْئًا لَيْسَ كَالْأَشْيَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ شَيْءٌ وَلَيْسَ كَالْأَشْيَاءِ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ فَدَلَّ بِهَذَا الْخَبَرِ - أَيْضًا - عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ شَيْءٌ بِالْمَعْنَى، وَذَمَّ مَنْ جَحَدَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ شَيْئًا، فَلَمَّا أَظْهَرَ اسْمَ كَلَامِهِ لَمْ يُظْهِرْهُ بِاسْمِ الشَّيْءِ فَيُلْحَدُ الْمُلْحَدُونَ فِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُونَهُ فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ، وَلَكِنَّهُ أَظْهَرَهُ بِاسْمِ الْكِتَابِ وَالنُّورِ وَالْهُدَى، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

فأظهره باسم الكتاب والنور والهدى، ولم يَقُلْ: قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى، ويجعل الشيء اسمًا لكلامه؛ فكانت أسماء ظاهرة يُعرف بها، كما سَمَّى نَفْسَهُ بأسماء ظاهرة يُعرف بها؛ فسمى كلامه نورًا، وهدى، وشفاء، ورحمة، وحقًا، وقرآنًا، وفرقانًا؛ لِعِلْمِهِ السابق في جَهِم، وبشر، وَمَنْ يقول بقولهما أنهم سَيُلْحِدُونَ في كلامه، وَيُدْخِلُونَهُ في الأشياء المخلوقة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، قد أَقَرَّ عبد العزيز أن القرآن شيء، وادَّعَى أنه ليس كالأشياء. وَقُلْتُ أنا: إنه كالأشياء. فَلَيَأْتِ بنصّ التنزيل كما أَخَذَ على نفسه أنه ليس كالأشياء، وَإِلَّا فَقَدْ بَطَلَ ما ادَّعاه، وَصَحَّ قولي: إنه مخلوق؛ إذ كُنَّا جميعًا قد اجتمعنا على أنه شيء، وقال الله ﷻ: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] بنصّ التنزيل.

فقال المأمون: هذا يُلْزِمُكَ يا عبد العزيز لما أَخَذْتَ على نفسك. وجعل محمد بن الجهم وَغَيْرُهُ يَضْجُونَ، ويقولون: ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ، جاء الحقُّ، وَزَهَقَ الباطل، إِنَّ الباطلَ كان زهوقًا. وطمعوا في قتلي، وَجِئْنَا بشرًا على ركبتيه، وجعل يقول: أَقِرُّ وَاللَّهِ يا أمير المؤمنين بِخَلْقِ الْقُرْآنِ. وَأَمْسَكْتُ فَلَمْ أَتَكَلَّمْ؛ حتَّى قال لي أمير المؤمنين: ما لَكَ لا تتكلم يا عبد العزيز؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، قد تكلم بشرًا، وطالبني بنصّ التنزيل على ما قُلْتُ، وهو المناظرُ لي، فضجيجٌ هؤلاء إيش هو وأنا لم أنقطع، ولم أَعْجِزْ عن الجواب وإقامة الحُجَّة بنصّ التنزيل على بشر، كما طالبني،

ولست أتكلم وفي المجلس أحد يتكلم غير بشر، إلا أن ينقطع بشر عن الحجة، فيعتزل، ويتكلم غيرُهُ.

فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره: أُمِسِكُوا. فَأَمْسِكُوا، وأقبل عليّ، وقال: تكلم يا عبدالعزيز، واحتج لنفسك؛ فليس يعارضك غير بشر. قال: قلت: قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [التحل: ٤٠] ، وقال: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] ، وقال - سبحانه -: ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٧] . فدلَّ عَلَىٰ هذه الأخبار - وأشباه لها في القرآن كثيرة - على أن كلامه ليس كالأشياء، وأنه غير الأشياء، وأنه خارج عن الأشياء، وأنه يكون الأشياء، ثم أنزل الله ﷻ خبرًا مفردًا ذكر فيه خلق الأشياء كلها، فلم يدغ منها شيئًا إلا ذكره وأدخله في خلقه، وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق، وفصله منها؛ ليتدل على أن كلامه غير الأشياء المخلوقة وخارج عنها؛ فقال: ﴿ وَإِذْ رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَبِثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْحُورَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] . فجمع في قوله: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ ﴾ جميع ما خلق، فلم يدغ شيئًا، ثم قال: ﴿ وَالْأَمْرُ ﴾؛ يعني: والأمر الذي كان به الخلق خلقًا؛ فرقًا بين خلقه وأمره، فجعل الخلق خلقًا والأمر أمرًا، وجعل هذا غير هذا،

وقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٥٠] ، وقال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الزوم: ٤] ؛ يعني: من قبل الخلق ومن بعد الخلق. ثم جمع الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة في كتابه، فأخبر عن خَلْقِهَا؛ وأنه خلقها بقوله وكلامه، وأن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها؛ فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣] ، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ﴿٨٥﴾ [الحجر: ٨٥] ، وقال: ﴿حَمِّ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ١: ٣] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِيبٍ﴾ ﴿١٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: ٨] . فقال المأمون: يُجْزِئُكَ هذا أو بَعْضُهُ يا عبد العزيز؛ فَأَخْتَصِر. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد أَخْبَرَ اللَّهُ عن خلق السماوات والأرض وما بينهما، فلم يَدْعُ شَيْئًا من الخلق إِلَّا ذَكَرَهُ، فَأَخْبَرَ عن خَلْقِهِ؛ أَنَّهُ مَا خَلَقَهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَنَّ الْحَقَّ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ الَّذِي بِهِ خَلَقَ الخلق كله، وَأَنَّهُ غَيْرُ الخلق، وَأَنَّهُ خَارِجٌ عن الخلق، وَغَيْرُ دَاخِلٍ فِي الخلق، وَهَذَا نَصُّ التَّنْزِيلِ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ غَيْرُ الأشياء المخلوقة، وَلَيْسَ هُوَ كَالْأَشْيَاءِ، وَبِهِ تَكُونُ الْأَشْيَاءُ.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، قَدْ ادَّعَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِقَوْلِهِ، ثُمَّ

جاء بأشياء متباينات متفرقات، وزعم أن الله يخلق بها الأشياء، فأكذب نفسه، ونقض قوله، ورجع عمّا ادّعاه من حيث لا يدري، وأمير المؤمنين شاهدٌ عليه، وهو الحاكم بيننا.

فأقبل المأمون عليّ، فقال: يا عبدالعزيز، قد قال بشرٌ كلامًا قد قُلْتُهُ، ويحتاج أن تُصَحِّحَ قولك، ولا ينقض بَعْضُهُ بَعْضًا. وجعل بشرٌ يصيح: لو تركتُهُ يتكلّم لجاء بألف شيءٍ مما خلق الله به الأشياء. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد ذهبت بالحجج، ورَضِيَ بشرٌ وأصحابُهُ بالضجيج، والترويج بالباطل، وقطع المجلس، وطلب الخلاص، ولا خلاص من الله حتى يُظْهِرَ دينُهُ، ويقمع الباطل بالحق، فيزهقه.

فصاح المأمون ببشر: أقبِلْ عليّ صاحبك، واسمَعْ منه، ودَعْ هذا الضجيج. وكان المأمون قد قَعَدَ مِنَّا مقعد الحاكم من الخصوم، ثم أقبِلَ المأمون، وقال: تكلم يا عبدالعزيز. فقلت: يا بشر، زعمت أني قد جئتُ بأشياء متباينات متفرقات، وادّعت أن الله خلق بها الأشياء، وما قُلْتُ إِلَّا ما قال الله ﷻ، ولا أقول: إن الله خَلَقَ الأشياء بقوله، وكلامه، وأمره (وبالحق) وهذه أربعة أشياء، ولا إنه خَلَقَهَا إِلَّا بكلامه. قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد قال: إن الله خلق الأشياء بقوله، وكلامه، وأمره، وبالحق، وهذه أربعة أشياء. قال المأمون: بَلْ قُلْتَ هذا يا عبدالعزيز. فقلت: صَدَقَ أمير المؤمنين، وقد قُلْتُ هذا؛ وهذه أربعة أشياء لِشَيْءٍ واحد؛ لأن كلام الله هو قوله، وقول الله هو كلامه، وأمر الله هو كلامه، وكلام الله هو

أمره، وكلام الله هو الحق، والحق هو كلام الله، فهذه أسماء لكلام الله، وقد قدّمتُ ذِكرَ هذا؛ فقلت: إن الله سَمَّى كلامه نورًا، وهدي، وشفاء، ورحمة، وقرآنًا، وفرقانًا، وبرهانًا، وَسَمَّاهُ الحق، وهذه أشياء شتى لشيء واحد؛ وهو كلام الله، كما سَمَّى نفسه بأسماء كثيرة؛ وهو واحدٌ صمدٌ فرد، وإنما يُنكر بشر هذا ويستعظمه؛ لقلة معرفته بلغة العرب.

قال بشر: قَدْ أَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كِتَابُ اللَّهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا بِنَصِّ التَّنْزِيلِ، فَأَيْنَ نَصُّ التَّنْزِيلِ؛ أَنْ كَلَامَ اللَّهِ هُوَ قَوْلُهُ وَهُوَ أَمْرُهُ، وَأَنْ كَلَامَهُ هُوَ الْحَقُّ؟

فقال المأمون: هذا يلزمك يا عبدالعزیز لما عقدت على نفسك من الشرط.

فقلت: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَيَّ أَنْ آتِيَ بِنَصِّ التَّنْزِيلِ عَلَى مَا قُلْتُ.

قال: فَهَاتِيهِ. قلتُ: قال الله ﷻ، وقد ذكر كلامه في القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]؛ وإنما يسمعه من قارئه، وإنما عنى القرآن - لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك -، وقال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُوا بِمَنَاكِبِكُمْ لَنَنبِيعَكُمْ بُرِيدُونَ﴾ [الأنفال: ١٥]، وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا نُنَزِّلُ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]؛ فقد أخبر عن القرآن

أنه الحق، وقال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦] فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤]؛ فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الشجدة: ٣] ، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] ، وقال: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ [القصاص: ٥٣] ؛ فأخبر أنه الحق.

فهذه أخبار الله كلها أن القرآن هو الحق، ثم ذكر عيسى قوله فسمّاه الحق، فأخبر أن الحق قوله. قال: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤] فأخبر أنه الحق، وأن الحق قوله، وقال: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الشجدة: ١٣] ، وقال: ﴿حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ [سج: ٢٣].

فهذه أخبار الله أنه الحق، وأن الحق قوله. ثم ذكر أن كلامه الحق، وأن الحق كلامه؛ فقال: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣] ، وقال: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢] ، وقال: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

فهذه أخبار الله أن الحق كلامه. وأخبر أن أمره هو القرآن. وهو كلامه؛

فَقَالَ: ﴿حَمْدٌ ۝١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ۞؛ يعني: القرآن، وقال: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ [الطلاق: ٥] ؛ يعني: القرآن.

فهذه أخبار الله أن القرآن أمره وكلامه، وأن أمره هو القرآن، وهذا تعليم الله لخلقه وتأديبه لهم؛ فقلت - كما قال الله -: إن القرآن كلام الله، وإنه أمر من أمر الله، وإنه الحق، وإن هذه أسماء لشيء واحد؛ وهو الكلام الذي به خُلِقَتِ الأشياء، وهو غير الأشياء، وخارج عن الأشياء، وليس هو كالأشياء. فهذا بنص التنزيل، لا بتأويل ولا بتفسير.

فقال المأمون: أَحَسَّنْتَ يا عبدالعزيز. فقال بشر: يا أمير المؤمنين، هذا يُحِبُّ أَنْ يَخْطُبَ بِمَا لَا أَسْمَعُهُ، وَلَا أَعْقِلُهُ، وَلَا أَلْتَفْتُ إِلَيْهِ، وَمَا أَتَى بِحُجَّةٍ!! وَلَا أَقْبَلُ مِنْ هَذَا شَيْئًا. قَالَ: قُلْتُ: يا أمير المؤمنين، مَنْ لَا يَعْقِلُ عَنْ اللَّهِ مَا يُخَاطَبُ بِهِ نَبِيِّهِ، وَمَا عِلْمُهُ لِعِبَادِهِ فِي كِتَابِهِ؛ يَدْعِي الْعِلْمَ، وَيَحْتَاجُ لِلْمَقَالَاتِ وَالْمَذَاهِبِ، وَيَدْعُو النَّاسَ لِلْبِدْعِ وَالضَّلَالِ!! قَالَ بَشَرٌ: أَنَا وَأَنْتَ فِي هَذَا سَوَاءٌ؛ تَنْتَرِغُ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، لَا تَعْلَمُ تَفْسِيرَهَا، وَلَا تَأْوِيلَهَا، وَأَنَا أَرُدُّ ذَلِكَ وَأَذْفَعُهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِمَا أَفْهَمُهُ وَأَعْقِلُهُ. قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، فذاك كلام بشر وتسويته فيما بيني وبينه، وَلَقَدْ فَرَّقَ اللَّهُ فِيما بيني وبينه، وَأَخْبَرُ اللَّهُ أَنَّا عَلَى غَيْرِ السُّوَى، وَأَكْذَبُهُ فِي دَعْوَاهُ.

فقال المأمون: وأين ذلك من كتاب الله ﷻ؟ قُلْتُ: قال الله ﷻ:

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَكُرُ أَوَّلُوا
 الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد: ١٩] ؛ فَأَنَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أُنْزِلَ
 عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَوْثَقُ بِهِ، وَبَشَرٌ قَدْ شَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ، وَلَا
 يَفْهَمُهُ، وَلَا يَعْقِلُهُ، وَلَا يَقْبَلُهُ، وَأَنَّهُ مِمَّا لَا يَقُومُ لِي بِهِ حُجَّةٌ؛ فَلَمْ يَقُلْ كَمَا
 قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا كَمَا قَالَ نَبِيهِ ﷺ، وَلَا كَمَا قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا كَمَا
 قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَلَا كَمَا قَالَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ؛ وَلَقَدْ
 أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ جَهْلِهِ، وَأَزَالَ عَنْهُ الْمَذْكُورَةَ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ جُمْلَةِ أُولَى
 الْأَلْبَابِ؛ لَكِن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالشُّوْودِ، وَشَرَّفَهُ بِهِ
 مِنَ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ، وَرَزَقَهُ مِنَ الْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ - قَدْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ قَوْلَهُ،
 وَعَرَفَ مَا عَنَى؛ فَقَبِلَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ مِمَّنْ انْتَرَعَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ بَشَرٌ: قَدْ أَقَرَّ بَيْنَ يَدَيْكَ أَنَّ الْقُرْآنَ شَيْءٌ؛ فَلَيْكُنْ عِنْدَهُ كَيْفَ شَاءَ،
 فَقَدْ اتَّفَقْنَا جَمِيعًا أَنَّهُ شَيْءٌ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ
 شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] ؛ فَهَذِهِ لَفْظَةٌ لَمْ تَدْغْ شَيْئًا إِلَّا أَذْخَلَتْهُ فِي الْخَلْقِ، وَلَا
 يَخْرُجُ عَنْهَا شَيْءٌ يُنْسَبُ إِلَى الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهَا لَفْظَةٌ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ الْأَشْيَاءَ
 كُلَّهَا، وَأَتَتْ عَلَيْهَا؛ مِمَّا ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِمَّا لَمْ يَذْكُرْهَا، فَصَارَ الْقُرْآنُ
 مَخْلُوقًا بِنَصِّ التَّنْزِيلِ، لَا بِتَأْوِيلٍ وَلَا بِتَفْسِيرٍ.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَيَّ أَنْ أَكْسِرَ قَوْلَهُ، وَأَكْذِبَهُ
 فِيمَا قَالَ بِنَصِّ التَّنْزِيلِ؛ حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ قَوْلِهِ، أَوْ يَقِفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 كَسْرِ قَوْلِهِ، وَبَطْلَانِ دَعْوَاهُ.

فقال المأمون: قُلْ ما عندك. قلت: قال الله في قصة عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] ؛ فهل أَبْقَتْ الريح يا بشرُ شيئاً لم تُدَمِّرْهُ؟ قال: لا؛ قد دَمَّرَتْ كُلَّ شَيْءٍ. كما أخبر الله عنها، فلم يَبْقَ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ تحت هذه اللفظة. فقلت: قد أَكْذَبَ اللَّهُ وَعَلَيْكَ مَنْ قَالَ هذا؛ بقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ؛ فَأَخْبَرَ أَنْ مَسَاكِنَهُمْ كانت باقيةً بعد تدميرهم، وَمَسَاكِنُهُمْ أشياء كثيرة، وقد قال: ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾ (٤٢) [الذاريات: ٤٢] ، وقد قال في قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] ؛ فهل بَقِيَ يا بشرُ شَيْءٌ لم تَوْتِهِ بلقيس؟

قال: أنا أقول: إن هذه اللفظة تَجْمَعُ الأشياءَ كُلَّهَا. فقلت: قد أَكْذَبَ اللَّهُ وَعَلَيْكَ مَنْ قَالَ هذا؛ لأن ملك سليمان كَمِثْلِ ملك بلقيس مئة ألف مرة؛ ولم تَوْتِهِ. وهذا كُلُّهُ مما يكسر قولك، وَيُطِطِلُ مذهبك، وَيُدْحِضُ حُجَّتَكَ، ومثل هذا في القرآن كثير؛ ولكن أبدأ بما هو أَشْنَعُ وأظهرُ فضيحةً لمذهبك، وأدمغ لبدعتك. قال الله وَعَلَيْكَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] ، وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤] ، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١] ؛ أَتَقَرُّ يا بشرُ أَنَّ لله علماً - كما أخبر - أو

تخالف التنزيل؟

قال: فَحَادَ بَشَرٌ عَنْ جَوَابِي، وَأَبَى أَنْ يُصَرِّحَ بِالْكَفْرِ - فيقول: ليس لله عِلْمٌ؛ فيكون قد رَدَّ نَصَّ التنزيل، فتبين ضلالتُهُ وكُفْرُهُ، وَأَبَى أَنْ يُقَرَّرَ أَنَّ لله عِلْمًا؛ فأسأله عن علم الله: هل هو داخلٌ في الأشياء المخلوقة أم لا؟ وَعَلِمَ ما أُرِيدُهُ، وَأُلْزِمُهُ فِي ذَلِكَ مِنْ كَثَرِ قَوْلِهِ، وإبطالِ مَذْهَبِهِ، وَدَخُضِ حُجَّتِهِ؛ فَاجْتَلَبَ كَلَامًا لَمْ أَسْأَلْ عَنْهُ، وقال: الله لا يجهل. وهذا معنى العلم.

قال: فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَكُونُ الْخَبَرُ عَنْ الْمَعْنَى؛ فَلْيُقَرَّرْ بَشَرٌ أَنَّ لله عِلْمًا - كما أخبرنا به في كتابه -، فَإِنِّي سَأَلْتُهُ مَا مَعْنَى الْعِلْمِ؟ وَهَذَا مِمَّا لَا أَسْأَلُهُ عَنْهُ؛ إِذْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْهَلُ. وَقَدْ حَدَّ بَشَرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جَوَابِي.

فَقَالَ بَشَرٌ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْحَيْدَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ؛ إِنِّي لَأَعْرِفُ الْحَيْدَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ - وَهِيَ سَبِيلُ الْكُفَّارِ الَّتِي اتَّبَعْتُهَا - فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ: يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَتَعْرِفُ الْحَيْدَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي سُنَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِي لُغَةِ الْعَرَبِ. قَالَ الْمَأْمُونُ: أَذْكَرُ ذَلِكَ.

قُلْتُ: قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ (٧٦) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۖ (٧٧)﴾. وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ هَذَا؛ لِيَذُمَّهُمْ وَيَعِيبَ آلِهَتَهُمْ، وَيُسِفَّهُ أَحْلَامَهُمْ، فَعَرَفُوا مَا أَرَادَ بِهِمْ؛ فَصَارُوا بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَنْ يَقُولُوا: نَعَمْ؛ يَسْمَعُونَا حِينَ نَدْعُوا، أَوْ يَنْفَعُونَا،

أو يضرونا، فيشهد عليهم بلغة قومهم أنهم كذبوا. أو يقولوا: لا يسمعونا حين ندعوا، ولا ينفعونا، ولا يضرونا، فَيَنْقُوا عن آلهتهم القدرة. وعلموا أن الحجة عليهم لإبراهيم؛ لأنهم في أيِّ القولين أجابوه؛ فَهُوَ عَلَيْهِمُ، فَحَادُوا عَنْ جَوَابِهِ، وَاجْتَلَبُوا كَلَامًا مِنْ غَيْرِ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ، فَقَالُوا: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٧٤]. فلم يكن هذا جواب مسأله. وأما الحيدة في سُنَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّهُ يُزَوَّى عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ قَالَ لِمَعَاوِيَةَ وَقَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ، فَرَأَاهُ يَكَادُ يَتَفَقَّأُ شَحْمًا، فَقَالَ: يَا مَعَاوِيَةُ، مَا هَذِهِ؟ لَعَلَّهَا مِنْ نَوْمَةِ الضُّحَى، وَرَدَّ الْخُصُومَ. قَالَ مَعَاوِيَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَّمَنِي وَفَهَمَنِي. وَلَمْ يَكُنْ هَذَا جَوَابًا لِقَوْلِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وَلَكِنَّهُ حَادَ عَنْ جَوَابِهِ؛ لِإِعْلَامِهِ بِمَا عَلَيْهِ مِنْ رَدِّ الْجَوَابِ، وَاجْتَلَبَ كَلَامًا مِنْ غَيْرِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ، فَأَجَابَهُ بِهِ.

وأما الحيدة في كلام العرب؛ فقول امرئ القيس في المعنى:
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَيْطُ بِنَا مَعَا عَقَزَتْ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَزْخِي زَمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينِي عَنْ خَبَاكِ الْمُحَلَّلِ
ولم يكن هذا جوابًا لقولها، وإنما حَادَ عَنْ جَوَابِهَا؛ فَاجْتَلَبَ كَلَامًا
غَيْرَهُ، فَأَجَابَ بِهِ.

فَأَقْبَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى بَشَرٍ، فَقَالَ: يَأْتِيْ عَلَيْكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِلَّا أَنْ تُقَرَّ أَنْ لِلَّهِ
عِلْمًا؛ فَأَجِبْتُهُ وَلَا تَحْدِ عَنْ جَوَابِهِ. فَقَالَ بَشَرٌ: قَدْ أَجَبْتُهُ عَنْ مَعْنَى الْعِلْمِ أَنَّهُ
لَا يَجْهَلُ، وَهَذَا هُوَ جَوَابُهُ؛ وَلَكِنَّهُ يَتَعَتَّى.

قال: فقلت: صدق - يا أمير المؤمنين - بشر؛ أن الله لا يجهل، ولم تكن مسألتي له عن الجهل، إنما سألته عن العلم، فليقر أن لله علمًا؛ كما أخبرنا في كتابه، وأثبتته لنفسه، وليقل: إن الله لا يجهل. بعد إقراره بالعلم. ثم التفت إلى بشر، فقلت: لا بد أن تقر أن لله علمًا. كما أخبرنا في كتابه - أو ترد أخبار الله بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على حديثك عن جوابي. فجعل يقول: إن نفي الجهل عنه هو إثبات العلم له، وإن كان اللفظان مختلفين. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن نفي السوء لا يثبت به المذحة، وإن إثبات المذحة ينفي السوء، وكذلك نفي الجهل لا يثبت العلم، وإثبات العلم ينفي الجهل.

قال بشر: وكيف ذاك؟ فقلت: إن قولك هذا - الاضطراري -: إنه لا يجهل. ليس هو مذحة له، ولا إثباتًا للعلم.

قال عبدالعزيز: فأقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله ^{عز وجل} لم يمدح في كتابه ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولا مؤمنًا تقيا ينفي الجهل عنه؛ ليدل على إثبات العلم له، وإنما مدحهم بإثبات العلم لهم، فنفي بذلك الجهل عنهم، فقال وقد مدح الملائكة: ﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾؛ ولم يقل: لا يجهلون. وقال لنبيه ^{صلى الله عليه وسلم}: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣]. وقال في مدحه المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ لم يقل: الذين لا يجهلون.

وهذا قولُ الله وَمَذْحُهُ لِمَلَائِكَتِهِ، ولِنَبِيِّهِ ﷺ، ولِلْمُؤْمِنِينَ؛ فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم. فما اختار بشرٌ ما اختاره الله لملائكته، ولا لنبيه، ولا من حيث اختار لعباده المؤمنين.

فأقبل عليَّ المأمون، وقال لي: يا عبدالعزیز، قد حادَ بشرٌ عن جوابك، وقد أتى أن يُقرَّ أن لله علمًا، ماذا تتكلم أنت عنه في الإقرار بذلك؟ قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين؛ إذا أقرَّ أن لله علمًا، سألتُهُ عن علم الله: هل هو داخلٌ في الأشياء المخلوقة حين احتجَّ بقوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وزعم أنه لم يَتَقَّ شَيْءٌ إِلَّا وقد أتى عليه هذا الخبر؟ فإن قال: علمُ الله داخلٌ في الأشياء المخلوقة. فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهُ بِخَلْقِهِ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَهَاتِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَكُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ قَبْلَ عِلْمِهِ فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْجَهْلُ فِيمَا بَيْنَ وَجُودِهِ إِلَى حَدُوثِ عِلْمِهِ، وهذه صفة المخلوقين، وَاللَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ أَوْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ، وَحُلِّ دَمُهُ، وَوَجِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَتْلُهُ. وإن قال: إن علمَ الله خارجٌ عن جملة الأشياء المخلوقة، وغير ذلك داخلٌ فيها، فقد رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ وَأَكْذَبَ نَفْسَهُ.

وقلتُ أنا: وكذلك كلامُهُ خارجٌ عن جملة الأشياء المخلوقة، غير داخلٍ فيها.

فقال المأمون: أَحْسَنْتَ يا عبدالعزیز، وإنما فرُّ بشرٌ أَنْ يُجِيبَكَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِهَذَا.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ، إِنْ اللَّهَ عَالِمٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَتَقُولُ: إِنْ لِلَّهِ عِلْمًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَتَقُولُ: إِنْ لِلَّهِ سَمِيعٌ بِصِيرٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَتَقُولُ: إِنْ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا؟ قُلْتُ: لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَافْرُقْ بَيْنَ ذَلِكَ.

قَالَ عَبْدِ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ فِيمَا اخْتَجَجْتُ بِهِ؛ أَنْ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا أَنْ يُثَبِّتُوا مَا أَثَبَتَ اللَّهُ، وَيَنْفُوا مَا نَفَى اللَّهُ، وَيُتَمَسِّكُوا عَمَّا أَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَأَخْبَرْنَا اللَّهَ عَلَيْكَ أَنْ لَهُ عِلْمًا، فَقُلْتُ: إِنْ لَهُ عِلْمًا كَمَا أَخْبَرَ. وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ عَالِمٌ؛ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]؛ فَقُلْتُ: إِنَّهُ عَالِمٌ كَمَا أَخْبَرَ. وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ سَمِيعٌ بِصِيرٍ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ سَمِيعٌ بِصِيرٍ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ. وَلَمْ يُخَبِّرْ أَنْ لَهُ سَمْعًا وَلَا بَصَرًا؛ فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ إِمْسَاكَهُ، وَلَمْ أَقُلْ: إِنْ لَهُ سَمْعًا وَلَا بَصَرًا.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِبَشِيرٍ وَأَصْحَابِهِ: مَا هُوَ بِمُشَبِّهٍ؛ فَلَا تَكْذِبُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ بَشِيرٌ: قَدْ زَعَمْتَ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا؛ فَأَيُّ شَيْءٍ هُوَ عِلْمُ اللَّهِ، وَمَا مَعْنَى عِلْمِ اللَّهِ؟

فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا مِمَّا تَفَرَّدَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فَلَمْ يُخَبِّرْ بِهِ مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، بَلْ اخْتَجَبَهُ عَنِ الْخَلْقِ جَمِيعِهِمْ، فَلَمْ يَعْلَمَهُ أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَنْ يَعْلَمَهُ أَحَدٌ بَعْدِي؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَعْلَمَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ. أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْكَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ

أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿٢٧﴾، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾ [لقمان: ٢٧] ؛ أتدري يا بشر ما معنى هذا؟ وأي شيء مما نحن فيه؟ فقال المأمون: قل أنت يا عبدالعزیز؛ ما عنى بهذا، وفهم بشرًا، وأشرحهُ.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ يعني بقوله هذا: ولو أن ما في الأرض من جميع الشجر، والخشب، والقصب أقلام يُكتب بها، والبحر مداد يمدّه من بغيه سبعة أبحر، والخلائق كلهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا البحر. ما نفدت كلمات الله: فمن يبلغ عقله، وفهمه، وفكره، كنه عظمة الله، وسعة علمه؟

وقال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩] ؛ فمن يحد هذا أو يصفه أو يدعي علمه؟ وقد عجزت الملائكة المقربون عن علم ذلك، واعترفوا بالعجز عنه؛ فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] ، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾ [لقمان: ٣٤] . وسئل النبي ﷺ عن علم الساعة، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي خَمْسٍ

لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَتَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. فأخبر النبي ﷺ أن هذه الخمس مما تَفَرَّدَ اللَّهُ بِعِلْمِهَا، فلا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ؛ فإذا كان النبي ﷺ لا يَعْلَمُ من عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا ما علمه، فكيف يَجُوزُ لِأَحَدٍ من أُمَّتِهِ أَنْ يَتَكَلَّفَ عِلْمًا، أَوْ يَدَّعِي معرفة؟

قال بشر: دَغَ عنك هذا الخطاب؛ لَا بُدَّ من جواب: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ عِلْمُ اللَّهِ بنصِّ التنزيل؟ أَوْ يَقِفُ أمير المؤمنين على أنك قد حَدَّثَ عن الجواب؛ فَأَكُونُ أَنَا وَأَنْتَ فِي الْحَيَّةِ سَوَاءً.

قال عبدالعزیز: فقلتُ له: إِنَّكَ لَتَأْمُرُنِي بِمَا نَهَانِي اللَّهُ عَنْهُ، وَحَرَّمَ عَلَيَّ الْقَوْلَ بِهِ، وَتَأْمُرُنِي بِمَا أَمَرَنِي بِهِ الشَّيْطَانُ، وَلَسْتُ أَغْصِي رَّبِّي وَأَزْتَكِبُ نَهْيَهُ، وَأَطِيعُ الشَّيْطَانَ وَأَتَّبِعُ أَمْرَهُ وَأَمْرَكَ؛ إِنْ كَتَمْتُ قَدْ أَمَرْتَنِي بِخِلَافِ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي؛ بَلْ نَهَانِي.

فَاشْتَدَّ تَبَسُّمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - الْمَأْمُونِ - مِنْ قَوْلِي، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدِالْعَزِيزِ، أَمَرَكَ بِشَرٍّ بِمَا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَرَّمَ عَلَيْكَ الْقَوْلَ بِهِ، وَأَمَرَكَ بِهِ الشَّيْطَانُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، أَوْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؟ قُلْتُ: بَلْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بنصِّ التنزيل. قَالَ: فَهَاتِهِ.

قلتُ: قَالَ اللَّهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ،

مُلْعَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾ [الأعراف: ٣٣] . وأمرهم الشيطان بضد ذلك، فقال الله ﷻ: ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨: ١٦٩]؛ فأخبر الله ﷻ أَنَّ الشيطان يأمر الناس بأن يقولوا على الله ما لا يعلمون؛ فَنَهَاهُمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ، وَقَبُولِ قَوْلِهِ.

فهذا تحريمُ الله ونهيُّه لنا يا أمير المؤمنين؛ أن نقول عليه ما لا نعلم، وهذا أمرُ الشيطان لنا؛ أن نقول على الله ما لا نعلم، وَقَدْ اتَّبَعَ بَشَرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلَ الشَّيْطَانِ الَّتِي نَهَاهُ اللَّهُ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَوَافَقَهُ عَلَى قَوْلِهِ، وَأَمَرَنِي بِمِثْلِ مَا أَمَرَنِي بِهِ الشَّيْطَانُ؛ أَنْ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ. فَكَثُرَ تَبَسُّمُ الْمَأْمُونِ حَتَّى غَطَّى يَدَهُ عَلَى فِيهِ، وَأَطْرَقَ يَنْكُثٌ فِي الْأَرْضِ بِيَدِهِ عَلَى السَّرِيرِ.

فَقَالَ بَشَرٌ: أَخْبِرْنِي يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ وَرَدَ عَلَيْكَ اثْنَانِ، وَقَدْ تَنَازَعَا فِي عِلْمِ اللَّهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: حَلَفْتُ بِالطَّلَاقِ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ. وَقَالَ الْآخَرُ: حَلَفْتُ بِالطَّلَاقِ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ. فَقَالَ لَكَ: أَفْتِنَا فِي أَيْمَانِنَا، وَأَجِبْنَا عَنْ مَسْأَلَتِنَا؛ مَا كَانَ جَوَابُكَ لِهَمَا؟

فَقُلْتُ: الْإِمْسَاكُ عَنْهُمَا، وَتَرْكُهُمَا وَجْهَلُهُمَا، وَصَرْفُهُمَا بِغَيْرِ جَوَابٍ. فَقَالَ بَشَرٌ: يَلْزُمُكَ إِذَا كُنْتَ تَدَّعِي الْعِلْمَ، وَيَجِبُ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُمَا فِي مَسْأَلَتِهِمَا، وَإِخْرَاجُهُمَا مِنْ أَيْمَانِهِمَا، وَإِلَّا فَأَنْتَ وَهْمَا فِي الْجَهْلِ سَوَاءٌ.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: يَجِبُ عليَّ أن أُجِيبَ كُلَّ من سألني عن مسألة، لا أَجِدُ لها في كتاب الله، ولا في سُنَّةِ رسوله ﷺ! نعم؛ فقد جهَلَ السائل، وَحَمَقَ الحَلَّاف عليها. فقال بشر: يجب عليك ويلزمك أن تُجِيبَهُ عن مسألته، وتُخْرِجَهُ عن يمينه إذا كان لا بُدَّ لمسألته من جواب. فقلت له: هذا تَقُولُهُ من كتاب الله، أو من سُنَّةِ رسوله ﷺ، أو من قَوْلِ أَحَدٍ من أهل العلم؟ فقال: هذا قَوْلُ الخلق جميعًا بلا خلاف فيه عندهم. قال عبد العزيز: فقلت: هذا قَوْلُ أَهْلِ الجَهْلِ، وَكُلُّ العلماء يُخَالِفُونَكَ في هذا ويُنكرونه. ثُمَّ أَقْبَلْتُ على المأمون، فقلت: قد سَمِعْتُ ما قال بشر؛ أنه يَجِبُ عليَّ جَوَابُ كل من سألني عن مسألة لا أَجِدُ لها في كتاب الله، ولا في سُنَّةِ رسول الله ﷺ مخرجًا، وَفُتْيَاهُ، وإِخْرَاجُهُ من يمينه؟ قال المأمون: قد حَفِظْتُ قَوْلَهُ.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو وَرَدَ عليَّ ثلاثة نفر، فتنازعوا في الكوكب الذي أَخْبَرَ الله أَنَّ إبراهيم رآه؛ بقوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦) [الأنعام: ٧٦]؛ فقال أحدهم: حلفت بالطلاق أنه المشتري. وقال الآخر: حلفت بالطلاق أنه الزهرة. وقال آخر: حلفت بالطلاق أنه المريخ. فَأَجَبْنَا عن مسألتنا، وَأَفْتَيْنَا في أيماننا. أَكَانَ عليَّ أن أُجِيبَهُمْ في مسألتهم، وأفتيهم في أيمانهم، وذلك لم يخبرنا الله ولا رسوله به؟!!

فقال المأمون: وما ذاك بواجب، وَلَا لَكَ بلام.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، فلو وَرَدَ عليَّ ثلاثة نفر، قد تنازعوا في

الأقلام التي أَخْبَرَ اللَّهُ عنها؛ بقوله: ﴿إِذَا يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمٌ﴾ [آل عمران: ٤٤] فقال أحدهم: حلفت بالطلاق أنها من نحاس. وقال الآخر: حلفت بالطلاق أنها فضة. وقال آخر: حلفت بالطلاق أن الأقلام خشب. فَأَجَبْنَا عن مسألتنا، وَأَفْتَيْنَا في أيماننا. وذلك مما لم يُخْبِرِ اللَّهُ به ولا رسوله، ولا يُوجَدُ عِلْمُهُ في كتابٍ ولا في سُنَّةٍ؛ أَكَّانَ عَلَيَّ يَا أمير المؤمنين أَنْ أَجِيبَهُمْ عن مسألتهم، وأفتيهم في أيمانهم؟ فقال المأمون: لا؛ ما ذَاكَ بواجبٍ عليك، ولا يلزمك.

قلت: فلو وَرَدَ عَلَيَّ ثلاثة نفر، قد تنازعوا في المؤذن الذي أَخْبَرَ اللَّهُ عنه في كتابه؛ بقوله: ﴿فَإِذَنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]؛ فقال أحدهم: حلفت بالطلاق أَنَّ المؤذن من الإنس. وقال الآخر: حلفت بالطلاق أَنَّ المؤذن من الجن. وقال آخر: حلفت بالطلاق أَنَّ المؤذن من الملائكة. فَأَجَبْنَا عن مسألتنا، وَأَفْتَيْنَا في أيماننا. أَكَّانَ عَلَيَّ إجابتهم، وذلك مما لم يُخْبِرِ اللَّهُ ﷻ، ولا رسول الله ﷺ، ولا يُوجَدُ عِلْمُهُ في كتابِ اللَّهِ، ولا في سُنَّةِ رسول اللَّهِ ﷺ؟ قال المأمون: ما ذَاكَ عليك بواجبٍ، وَلَا لَكَ بلازم.

فقلت: صَدَقْتَ يَا أمير المؤمنين؛ لَا يَجُوزُ لِي ولا لغيري إجابَتُهُمْ عن مسألتهم، ولا قَبُولُ قَوْلِهِمْ في أيمانهم، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ﷻ قد أَخْبَرَ به في كتابه، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ. وإذا لم يَجُزْ هذا في خَلْقِ اللَّهِ؛ فيكفِ يجوز الجواب على علم اللَّهِ ﷻ؟! وهو مما لم يوجد في كتاب

اللَّهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ أَكْذَبَ اللَّهُ بِشْرًا عَلَى لِسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنْ وَجُوبِ الْجَوَابِ فِي فَتْوَى مَنْ جَهِلَ فِي مَسْأَلَةٍ، وَحَقَّقَ فِي يَمِينِهِ.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: أَحْسَنْتَ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ. فَقَالَ بِشْرٌ: وَاحِدَةٌ بِوَاحِدَةٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ سَأَلَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ أَنْ أَقِرَّ أَنْ لِلَّهِ عِلْمًا فَلَمْ أُجِبْهُ، وَسَأَلْتُهُ عَمَّا هُوَ عِلْمُ اللَّهِ فَلَمْ يُجِبْنِي؛ فَقَدْ اسْتَوَيْتَا فِي الْحَيَّةِ، وَنَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَى غَيْرِهَا، وَنَدْعُهَا مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ تَثْبُتُ لِأَحَدِنَا عَلَى الْآخَرِ.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بِشْرًا قَدْ أَفْجَمَ وَانْقَطَعَ الْجَوَابُ، وَدُحِضَتْ حُجَّتُهُ، وَبَانَتْ فَضِيلَتُهُ، وَبَقِيَ بِلَا حُجَّةٍ يُقِيمُهَا لِمَذْهَبِهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ؛ فَلَجَأُ بِسَأَلِنِي مَسْأَلَةً مُحَالًا، يَحُجُّ بِهَا مِنِّي؛ لِيَقُولَ: سَأَلَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ أُجِبْهُ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ يُجِبْنِي فِيهَا. وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ السَّاعَةَ، وَأَنَا وَبَشْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى غَيْرِ السَّوَاءِ فِي مَسْأَلَتِنَا؛ لِأَنِّي سَأَلْتُهُ عَمَّا أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَشَهِدَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ؛ بِقَوْلِهِ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦].

فَأَخْبَرَنَا بِعِلْمِهِ، وَشَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ، وَشَهِدَ لَهُ بِهِ مَلَائِكَتُهُ، وَتَعَبَّدَ اللَّهُ نَبِيَهُ وَسَائِرَ الْخَلْقِ، بِالْإِقْرَارِ بِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ؛ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]. وَبَشْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْتِي أَنْ يُؤْمِنَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقِرَّ بِهِ أَوْ يُصَدِّقَ، وَسَأَلَنِي بِشْرٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ سَتَرَ اللَّهُ عِلْمَهَا عَنْ

ملائكته وأنبيائه، وعن رُسُلِهِ وَأَهْلٍ وَلَايَتِهِ جَمِيعًا، وَعَنِّي وَعَنْ بَشَرٍ، وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ مِمَّنْ مَضَى فِي سَائِرِ الدَّهْرِ، وَمَنْ هُوَ آتٍ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ قَبْلُنَا، وَلَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ بَعْدُنَا؛ فَلَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَجِيبَهُ عَنْ مَسْأَلَتِهِ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ النَّقْصُ عَلَيَّ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -، لَوْ كَانَ بَشَرٌ يَعْلَمُ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ، أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَكُنْتُ لَا أَعْلَمُ؛ فَأَمَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا جَمِيعًا - أَنَا وَبَشَرٌ وَسَائِرُ الْخَلْقِ - فِي جَهْلٍ، فَلَيْسَ الضَّرَرُ بِدَاخِلٍ عَلَيَّ ذُوْنَهُ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهَا، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُجِيبَ عَنْهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ ذَلِكَ، وَحَظَرَهُ، وَنَهَى عَنْهُ.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: أَنْتَمَا فِي مَسْأَلَتِكُمَا عَلَيَّ غَيْرِ السَّوَاءِ، وَقَدْ صَحَّ قَوْلُكَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَبَانَ وَوَضَحَ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَظَهَرَتْ حُجَّتُكَ عَلَيَّ بِشَرِّ فِيهَا. قَالَ عَبْدِ الْعَزِيزِ: وَرَأَيْتُ بَشَرًا قَدْ حَادَ وَانْقَطَعَ، وَصَحَّ مَا فِي يَدَيَّ، وَاسْتَبَانَ الْحَقُّ، وَوَضَحَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِسَائِرِ مَنْ بِحَضْرَتِهِ، وَشَهِدَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَسْتُ أَذْغُ بَشَرًا حَتَّى أَكْسَرَ قَوْلَهُ، وَأَذْجِضَ حُجَّتَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَأَرْجِعَ إِلَى أَوَّلِ الْمَسْأَلَةِ، وَأَدْعِ ذِكْرَ الْعِلْمِ، وَأَحْتَجِّ بِمَا يُنْطَلُ دَعْوَاهُ، وَيَفْضَحُ مَذْهَبُهُ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: قَدْ أَصَبْتَ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ بِتَرْكِ الْكَلَامِ فِيمَا قَطَعَ الْمَجْلِسُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْجَعَ إِلَيْكَ عَنْ مَسْأَلَتِكَ جَوَابًا، وَقَدْ وَقَفْنَا مِنْ قَوْلِكَ وَشَرْحِكَ عَلَيَّ مَا يَلْزَمُ بَشَرًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَلَوْ أَجَابَكَ عَنْ مَسْأَلَتِكَ -؛ فَأَخْرَجَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا كَمَا قُلْتُ، وَاحْتَجَّ عَلَيَّ بِشَرِّ بَغِيرِهَا.

قال عبدالعزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أيجبُ على مَنْ كال بمكيالٍ أن يوفي؟ فقال: ذلك يلزمه.

فقلت: يا بشر، تزعمُ أن قول الله: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] لا يخرج عنها شيء؛ لأن تلك كلمة تجمع الأشياء كلها، فلا تدع شيئاً يخرج عنها، وكل ذلك داخل فيها؟! قال بشر: نعم؛ هكذا قلت، هكذا أقول، ولست أرجع عن قولي لكثرة خطبك وهذيانك. فقلت: يا أمير المؤمنين، شاهدٌ عليه بهذا؟ قال المأمون: أنا شاهدٌ عليه بهذا، فتكلم بما تريد.

فقلت: يا بشر، قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا طَبَعَتْكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]؛ فقد أخبرنا الله ﷻ في مواضع كثيرة من كتابه؛ أن له نفساً، فتقرُّ يا بشر أن لله نفساً. كما أخبرنا عنها؟ قال: نعم. فقلت: يا أمير المؤمنين، اشهدْ عليه أنه أقرَّ أن لله نفساً. قال: نعم؛ قد سمعتُ قوله، وشهدتُ عليه. فقلت: قال الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. فتقول يا بشر: إن نفسَ الله ﷻ داخلَةٌ في هذه النفوس التي تذوق الموت؟ فصاح بأعلى صوته. وكان جهوري الصوت: مَعَاذَ اللَّهِ، مَعَاذَ اللَّهِ.

قال عبدالعزيز: فرفعتُ صوتي، وقلت: إذا؛ مَعَاذَ اللَّهِ أن يكون كلامُ

الله داخلًا في الأشياء المخلوقة، كما أن نفسه ليست بداخلة في الأشياء الميتة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، قد سألتني؛ فليسمع كلامي، وليدع الضجيج والصياح. قلت له: تكلم بما شئت. فقال بشر: وإن كانت نفس الله غير الله، أو هو هو؛ فليست بداخلة في هذه النفوس. فقلت له: كم ألقى إليك أنني أقول بالخبر، وأمسك عن علم ما ستر عني؛ وإنما قلت: إن لله نفسًا كما أخبر في كتابه، وأقررت بذلك عندي، فليكن عندك على أي معنى شئت، وقل: إنها داخلة في هذه النفوس أم لا؟ ودع عنك كلام الخطرات والوسواس. فقال: أنت رجل متعنت، وليس عندي جواب غير هذا.

فقال عبدالعزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد كسرت قوله في هذه المسألة بالقول الأول، والقول الثاني في باب العلم، وكسرت قوله بغيره، ودحضت حجته بمذهبه، وبطل ما كان يدعو إليه من بدعيته، وبأن لأمر المؤمنين قبح مذهبه، وفحش قوله.

فأقبل علي المأمون، وقال: يا عبدالعزيز، قد وضحت حجتك، وبأن قولك، وأنكسر قول بشر في هذه المسألة، ونحتاج أن تشرح لنا هذه الأخبار في القرآن، ومعانيها، وما أراد الله ﷻ.

قال عبدالعزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله ﷻ شرف العرب، وكرمهم، وأنزل القرآن بلسانهم؛ فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا» [يُوشَف: ٢] ، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مَرْيَم: ٩٧] .
فَخَصَّ اللَّهُ ﷻ الْعَرَبَ بِفَهْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ بِعِلْمِ
أَخْبَارِهِ، وَمَعَانِي أَلْفَاظِهِ، وَخُصُوصِيهِ وَعُمُومِيهِ، وَمُتَحَكِّمِيهِ وَمُتَّبِعِيهِ،
وَحَاطَبَتِهِمْ بِمَا عَقَلُوهُ وَعَلِمُوهُ وَلَمْ يَجْهَلُوهُ؛ إِذْ كَانُوا قَبْلَ نُزُولِهِ عَلَيْهِمْ
يَتَعَامَلُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي خُطَابِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ الْقُرْآنَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَخْبَارٍ
خَاصَّةٍ وَعَامَّةٍ:

فَمِنْهَا: خَبَرٌ مَخْرُجُهُ مَخْرُجُ الْخُصُوصِ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْخُصُوصِ؛ وَهُوَ
قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١] ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ مِثْلَ
عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٩] ، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ
إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الْحُجُرَات: ١٣] . وَالنَّاسُ اسْمٌ يَجْمَعُ آدَمَ
وَعِيسَى وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا بَعْدَهُمَا؛ فَعَقَلَ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ اللَّهِ ﷻ أَنَّهُ لَمْ يَغْنِ
آدَمَ وَعِيسَى؛ لِأَنَّهُ قَدَّمَ خَبَرَ خَلْقِهِمَا.

وَمِنْهَا: خَبَرٌ مَخْرُجُهُ مَخْرُجُ الْعُمُومِ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْخُصُوصِ؛ وَهُوَ
قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٥٦] . فَعَقَلَ
عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَغْنِ إِبْلِيسَ فِيمَنْ تَسَعُّهُ الرَّحْمَةُ؛ لَمَّا تَقَدَّمَ فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ الْخَاصُّ
قَبْلَ ذَلِكَ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥) [ص: ٨٥] . فَصَارَ مَعْنَى ذَلِكَ الْخَبَرِ الْعَامِ خَاصًّا؛ لِخُرُوجِ
إِبْلِيسَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.
وَمِنْهَا: خَبَرٌ مَخْرُجُهُ مَخْرُجُ الْخُصُوصِ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْعُمُومِ؛ وَهُوَ

قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾ (٤٩) [التنجيم: ٤٩] . فكان مخرجه خاصًا، ومعناه عامًا. ومنها: خبر مخرجه مخرج العموم، ومعناه العموم. فهذه الأربعة الأخبار خص الله العرب بفهمها، ومعرفة معانيها وألفاظها، وخصوصها وعمومها، والخطاب بها، ثم لم يدعها؛ اشتباها على خلقه؛ وفيها بيان ظاهر لا يخفى على من تدبره من غير العرب، ممن يعرف الخاص والعام.

فلما قَدَّمَ إلينا ﷻ في نفسه خبرًا خاصًا؛ أنه حي لا يموت، بقوله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ، ثم أنزل خبرًا مخرجه مخرج العموم، ومعناه الخصوص؛ فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] . فعقل المؤمنون عن الله ﷻ أنه لم يغن نفسه مع هذه النفوس؛ لما قَدَّمَ إليهم من الخبر الخاص.

وكذلك قَدَّمَ إلينا في كتابه خبرًا خاصًا: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤١) [التحل: ٤٠] ؛ فدل على قوله باسم مفرد، فقال: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [التحل: ٤٠] ، ولم يقل: إذا أردناهما. ففرق بين القول، والشيء المخلوق الذي يكون بالقول مخلوقًا، ثم قال ﷻ: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] . فعقل المؤمنون عن الله ﷻ أنه لم يغن كلامه وقوله في الأشياء المخلوقة؛ لما قَدَّمَ من الخبر الخاص.

فقال المأمون: أحسنت؛ فأخرجنا منها إلى غيرها. فقال بشر: قد خطبت وتكلمت وهذيت، وتركتك تفرح بما ادعيت

عليّ من إبطال خلق القرآن بنصّ التنزيل، وَهَاهُنَا آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَا يَنْهَى لَكَ مُعَارَضَتَهَا وَدَفْعَهَا، وَلَا التَّشْبِيهَ فِيهَا؛ كَمَا فَعَلْتَ فِي غَيْرِهَا بِنَصِّ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا أَخَرْتُهَا لِيَكُونَ انْقِضَاءُ الْمَجْلِسِ بِهَا، وَفِيهَا سَفْكَ دَمِكَ.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: هَاتِيهَا وَأَنَا أَشْهَدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَفْسِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتَّبِعُكَ عَلَيْهَا، وَيَقُولُ بِهَا، وَيَزْجِعُ عَنْ قَوْلِهِ، وَيُكَذِّبُ نَفْسَهُ، وَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - إِنْ كَانَ مَعَكَ بِنَصِّ التَّنْزِيلِ، وَمَنْ خَالَفَكَ فَهُوَ كَافِرٌ. وَاللَّهُ لَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ مَا قُلْتَ لَمْ يَأْتُوا بِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا.

قال بشر: قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣].

فقلت: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهَذَا، وَيُقِرُّ بِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ عَرَبِيًّا. فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ عَلَى خَلْقِهِ؟! فَقَالَ بَشَرٌ: هَلْ فِي الْخَلْقِ أَحَدٌ يَشْكُ فِي هَذَا أَوْ يَخَالِفُ عَلَيْهِ؛ إِنْ مَعْنَى ﴿ جَعَلْنَاهُ ﴾: خَلَقْنَاهُ.

قال: فقلت: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ذَهَبَ نَصُّ التَّنْزِيلِ الَّذِي ادَّعَى أَنَّهُ يَأْتِي بِهِ، وَرَجَعْنَا إِلَى مَعْنَاهُ وَتَأْوِيلِهِ. قَالَ بَشَرٌ: مَا هَذَا إِلَّا نَصُّ التَّنْزِيلِ، وَمَا هَذَا بِتَأْوِيلٍ وَلَا بِتَفْسِيرٍ.

قال: فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ الْقُرْآنُ نَزَلَ بِلِسَانِكَ وَلِسَانِ قَوْمِكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ أَهْلَ الْأَرْضِ بِلُغَةِ قَوْمِكَ، وَلُغَةِ الْعَرَبِ كُلِّهَا، وَمَعَانِي كَلَامِهَا، وَبَشَرٌ رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَجَمِ يَتَأَوَّلُ كِتَابَ اللَّهِ

- تعالى - على غير ما أنزل، وغير ما عناه الله ﷻ، وَيُخَرِّفُهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيُبدِّلُ معانيه، ويقول ما تُثَكِّرُهُ العربُ وكلامها ولغاتها، وأنت أعلم خلق الله بذلك، وإنما يُكْفِّرُ بِشَرِّ النَّاسِ، ويستبيح دِمَاءَهُمْ بتأويل لا بتنزيل. فجعل بشر يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]؛ يَزُوعُ عبدالعزیز إلى الكلام، والخطب، والاستعانة بأمر المؤمنين؛ لِيَنْقَطِعَ المجلس. قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، ثم ضَرَبَ بِشَرِّ يَدِهِ عَلَى فَخْذِهِ وَغَمَزَ، وقال: قد أَتَيْتُكَ بما لا تَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِ، ولا التشبيه فيه؛ لينقطع المجلس بنبات الحُجَّةِ عليك، وإيجاب العقوبة لك، فَإِنْ كَانَ عندك شيءٌ فتكلّم به، وإِلَّا فقد قَطَعَ اللهُ مقالتك، وَأَذْحَضَ حُجَّتَكَ. وَجَعَلَ يَصِيحُ، ويقول: فَرَحْنَاكَ أَوَّلَ المجلس وَأَطْمَعْنَاكَ؛ حتى اسْتَطَلَّتْ فِي الكلام، وتفرغت، وَتَوَهَّمْتَ أَنَّكَ قد قدرت على ما أَرَدْتَ، فأين كلامك؟! وأين احتجاجك؟! حَصَلَ مَا أَخْرَسَكَ، وَذَهَبَ بِعَقْلِكَ، وَأَبَاحَ دَمَكَ؛ قال الله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]. قال: اشتغل قلبي بقلبك، والفكر في ذلك.

قال عبدالعزیز: فأقبل عليّ المأمون، فقال: يا عبدالعزیز، مَا لَكَ قَدْ أَمْسَكَتَ فلا تتكلّم؟! أَجِبْهُ إِنْ كَانَ عندك جوابٌ لمسألته.

قلت: ليس يَدْعُنِي أَجِبُهُ، ولا أَكَلَّمُهُ من ضَجِيجِهِ وجلبته؛ كأنه قد جاء بِحُجَّةٍ، فَإِنْ سَكَتَ تَكَلَّمْتُ وَأَجَبْتُهُ، وكسرتُ قَوْلَهُ، وأدحضتُ

حُجَّتُهُ - يَأْذَنُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَتْ غَايَتُهُ أَنْ يَهْدِيَ وَيَصِيحَ وَيُرْوِّجَ الْكَلَامَ، تَرَكْتُهُ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى عَيْنًا بِمَا يَرَاهُ. فَصَاحَ بِهِ الْمَأْمُونُ: أَمْسِكْ وَاسْمَعْ مِنْ الرَّجُلِ جَوَابَ مَا سَأَلْتَهُ عَنْهُ، وَدَعْ عَنْكَ الْهَذْيَانَ. وَأَقْبَلَ عَلَيَّ الْمَأْمُونُ، فَقَالَ: تَكَلِّمْ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ بِمَا تُرِيدُ.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا خَفِيَ عَلَيْكَ مَا جَرَى الْيَوْمَ فِي مَجْلِسِكَ، وَلَنْعَمَ الْحَاكِمَ أَنْتَ، وَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي وَعَنْ رَعِيَّتِكَ خَيْرًا، وَبَشِّرْ يُؤَوَّلُ الشَّيْءَ عَلَى مَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ بغير علم ولا حَقِيقَةٍ لِقَوْلِهِ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَحَفَّظَ عَلَيْنَا أَلْفَاظُنَا، وَمَا يَجْرِي بَيْنَنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَيَشْهَدُ عَلَيْنَا بِمَا نَقُولُ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ - فَعَلَّ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَا أَفَعَلُ ذَلِكَ مِنْذُ الْيَوْمِ؛ حَتَّى لَوْ اخْتَبَجَ إِلَى إِعَادَةِ مَا مَضَى لِأَعْدَتِهِ عَلَيْكُمَا.

فَأَقْبَلْتُ عَلَى بَشْرٍ، فَقُلْتُ: يَا بَشْرُ أَخْبِرْنِي عَنْ «جَعَلٍ»؛ هَذَا الْحَرْفُ لِحَكَمٍ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ الْخَلْقِ؟ قَالَ: لَا؛ وَمَا بَيْنَ «جَعَلٍ» وَ«خَلَقَ» عِنْدِي فَرْقٌ، وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ غَيْرِي مِنْ سَائِرِ النَّاسِ - مِنَ الْعَرَبِ وَلَا مِنَ الْعَجَمِ - وَلَا يَتَعَارَفُ النَّاسُ إِلَّا هَذَا.

قُلْتُ لِبَشْرٍ: أَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ، وَدَعْ ذِكْرَ الْعَرَبِ، وَسَائِرِ النَّاسِ؛ فَأَنَا مِنَ النَّاسِ، وَمِنَ الْخَلْقِ، وَمِنَ الْعَرَبِ، وَأَنَا أَخَالِفُكَ عَلَى هَذَا، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَخَالِفُونَكَ. قَالَ بَشْرٌ: هَذِهِ دَعْوَى مِنْكَ عَلَى الْعَرَبِ، وَكُلِّ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ يَقُولُونَ مَا قُلْتُ أَنَا، وَمَا يُخَالِفُ فِي هَذَا غَيْرُكَ.

فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي يَا بَشْرُ إِجْمَاعَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ - بِزَعْمِكَ أَنَّ «جَعَلٍ» وَ«خَلَقَ» وَاحِدٌ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا - فِي هَذَا الْحَرْفِ وَحْدِهِ، أَوْ فِي سَائِرِ مَا فِي

القرآن من «جعل»؟ قال بشر: بل ما في سائر القرآن من «جعل»، وسائر ما في الكلام والأخبار والأشعار.

فقلت: قد حفظ عليك أمير المؤمنين ما قلت، وشهد به عليك. قال بشر: أنا أعيد عليك هذا القول متى شئت، ولا أزجعه عنه، ولا أخالفه. فقلت لبشر: زعمت أن معنى ﴿جَعَلْنَاهُ﴾: خَلَقْنَاهُ قرآنا عربيا؟ قال: نعم؛ هكذا قلت، وهكذا أقول أبدا. فقلت له: أخبرني، تفرّد الله بخلق القرآن أو شاركه في خلقه أحد غيره؟ فقال: بل الله تفرّد في خلقه، ولم يشركه في خلقه أحد غيره. فقلت له: أخبرني عن قال: بغض ولد آدم خلق القرآن من دون الله. أمؤمن هو أم كافر؟ قال بشر: كافر حلال الدم. فقلت: صدقت؛ إنه كافر حلال الدم.

قلت: فأخبرني عن قال: التوراة خلقتها اليهود من دون الله ﷻ. أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم.

قلت: صدقت؛ إنه كافر حلال الدم بإجماع الأمة. قلت: فأخبرني عن قال: إن بني آدم خلّقوا الله، وإن الله - تعالى - أخبر بذلك في كتابه. أمؤمن هو أم كافر؟ قال بشر: بل كافر حلال الدم. فقلت: يا بشر، الله خلق الخلق كلهم؟ قال: بلى. قلت: فهل شاركه في خلقهم أحد من خلقه؟ قال: لا. قلت: صدقت؛ فأخبرني عن قال: إن بني آدم شاركوه في خلقه. أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: صدقت، وهكذا أقول أنا - أيضا -.

قال بشر: فقد قعدت لتجيبني؛ إيش هذا مما نحن فيه!! إنما تريد أن

تشغلني؛ حتى يؤذن الظهر، وينقطع المجلس؛ رجاء أن تنصرف منه سالماً، وهذا مما لا يكون، فإن كان عندك جواب فقد انقطع الكلام، وإيش هذه الخرافات والمحنة الباردة!! هَاتِ مَا عِنْدَكَ.

فقلت: قال الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [التحل: ٩١]: خَلَقْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا، لا معنى له عند بشر غير ذلك، ثم قال: مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ خَلَالَ الدَّمِ؛ فلم يَرْضَ بِشَرٍّ أَنْ يَقُولَ: بَنُو آدَمَ خَلَقُوا اللَّهَ. حَتَّى زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ ذَلِكَ، وَشَهِدَ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ. وَمَنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ أَغْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَكَفَرَ بِهِ، وَحُلَّ دَمُهُ بِاجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]؛ فزعم بشر أن معنى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾: وَلَا تَخْلُقُوا اللَّهَ. لَا مَعْنَى لَهُ عِنْدَهُ غَيْرَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ خَلَالَ الدَّمِ بِاجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَكُلٌّ مِنْ قَالَ هَذَا مِنَ الْخَلْقِ فَهُوَ كَافِرٌ خَلَالَ الدَّمِ بِاجْمَاعِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُ حَكَى أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ بِمِثْلِ هَذَا.

وقال الله ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ﴾ [التحل: ٥٧]؛ فزعم بشر أن معنى ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾: يَخْلُقُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ. لَا مَعْنَى لِذَلِكَ غَيْرَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ خَلَالَ الدَّمِ.

فقال المأمون: مَا أَقْبَحَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ وَأَعْظَمُهَا وَأَشْنَعُهَا، فَحَسْبُكَ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ فَقَدْ صَحَّ قَوْلُكَ، وَأَقَرَّ بِشَرٍّ بِمَا حَكَيْتَ عَنْهُ، وَكَفَرَ نَفْسُهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرِ. فقلت: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَأْذَنَ لِي أَنْ أَتَنَزَّعَ

بآياتٍ بقيت وأختصر. قال المأمون: قُلْ مَا شِئْتُ.

قلت: قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]؛ فزعم بشر أن معنى ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ﴾: خلقوا لله أندادًا. ثم قال: من قال هذا فهو كافِرٌ حلال الدم. وقد صدق أنه من قال هذا فهو كافِرٌ حلال الدم؛ إذ كان قد أخبر بمثل هذا عن الله ﷻ.

وقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]؛ فزعم بشر أن معنى ﴿جَعَلُوا﴾: خلقوا لله. لا معنى لذلك غير هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافِرٌ حلالُ الدم بإجماع الأمة؛ إذ حكى الله ﷻ مثل هذا.

وقال الله - تعالى -: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]؛ فزعم بشر أن معنى ﴿جَعَلُوا﴾ [الرعد: ١٦]: خلقوا. لا معنى لذلك غيره؛ وقد كذب - تعالى - بشرًا في قوله هذا، ونزل الرد بقوله، فأخبر عن كفره: ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَهُمَا بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظِهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية. فأخبر - تعالى - عن كفرٍ بشري، وكذبٍ قوله، ونفاه عن نفسه.

وقال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَدِيقًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] الآية. فزعم بشر أن معنى ﴿جَعَلَا لَهُ﴾: خلقا له شركاء. لا معنى له غير ذلك عنده، ثم قال: من قال هذا فهو كافِرٌ حلالُ الدم. وقد صدق؛ من قال هذا فهو كافِرٌ حلالُ الدم بإجماع الأمة.

ومثله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً﴾ [الزخرف: ١٩]، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ [الرعد: ١٦]. وأمثال هذا في القرآن يَطُولُ ذِكْرُهُ؛ مما يدل على كُفْرِ بشري، وإِخْلَالِ دَمِهِ.

وقال ﷺ: ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾؛ فزعم بشر أن المقتسمين خلَقُوا القرآن. لا معنى له عنده غيره؛ فصَارَ القرآن عنده مخلوقًا بِخَلْقِ الْمُقْتَسِمِينَ له، لا بخلق الرحمن. ثُمَّ قَالَ: مَنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ وَحُلَّ دَمُهُ. وقد صَدَقَ؛ إِنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ بِاجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرِاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]؛ فزعم بشر أن اليهود خَلَقَتِ التوراة. ثُمَّ قَالَ: مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ بِاجْمَاعِ الْأُمَّةِ. وقد صَدَقَ.

قال عبدالعزيز: فأقبل عليَّ المأمون، وقال: حَسْبُكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِشَرِّ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكَفْرِ وَإِحْلَالِ الدَّمِ، وَأَشْهَدَنِي عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ، وَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَهُ؛ وَلَكِنَّهُ قَالَ مَا قَالَ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا عَلَيْهِ فِيهِ.

فقلتُ: إِنَّمَا خَاطَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسْتَشْهِدُهُ عَلَى مَا حَصَلَ فِي يَدَيَّ، وَأَقَرُّ بِهِ بِشَرِّ، وَأَشْهَدُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ حَفِظَ عَلَيَّ كَلَامَهُ وَأَلْفَاظَهُ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا اجْتَرَأْتُ عَلَى أَنْ أَخْكِي عَنْهُ حِكَايَةً،

وَأَسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ بِهَا، فَلَمْ أَحْصِهَا عَلَيْهِ.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: صَدَقْتَ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: تَكَلَّمْ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي بَيَانِ هَذَا؛ فِي ذِكْرِ «جَعَلَ» وَ«خَلَقَ» الَّذِي فِي الْقُرْآنِ، وَفَرَّقَ مَا بَيْنَ «جَعَلَ» وَ«خَلَقَ»، وَاشْرَحَ ذَلِكَ؛ لِيَقِفَ عَلَيْهِ مَنْ يَحْضُرُنَا، وَيَعْرِفَهُ.

قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَلَكِنْ إِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ تَأْذُنُ لِي، فَأَقُولُ قَبْلَ الْبَيَانِ وَالشَّرْحِ أَشْيَاءَ فِي هَذَا الْمَعْنَى؛ مِمَّا أَكْسَرُ بِهِ قَوْلَ بَشَرٍ، وَأُذِجُ بِهِ حُجَّتَهُ، وَأَكْسَرُ مَذْهَبَهُ، وَأُبْطِلُ بِهَا اعْتِقَادَهُ. فَقَالَ: قُلْ وَلَا تُطِلْ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَدْرُسُهُ دَرَسًا.

قَالَ: فَقُلْتُ: قَالَ ﷺ: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُومًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَنُلْقَى فِي جَهَنَّمَ﴾ [الإسراء: ٣٩]؛ فَزَعَمَ بَشَرٌ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ: وَلَا تَخْلُقْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ. فَلَا أَعْظَمَ قَوْلًا مِنْ هَذَا، وَلَا أَشْنَعُ. وَقَالَ اللَّهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]؛ فَزَعَمَ بَشَرٌ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ: وَلَا تَخْلُقْ يَدَكَ. وَاللَّهُ خَلَقَهُ خَلْقًا تَامًا مُسْتَوِيًا، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ رَسُولًا، وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ، ثُمَّ خَاطَبَهُ بَعْدَ الرِّسَالَةِ بِهَذَا الْخُطَابِ.

فَمَنْ أَقْبَحُ قَوْلًا وَأَفْحَشُ مَنْ قَالَ هَذَا؟

وَقَالَ اللَّهُ ﷻ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ، وَقَوْلِهِ لِمُوسَى: ﴿لَأَجْعَلَ لَكَ

مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿الشُّعْرَاءُ: ٢٩﴾؛ فَرَّعَمَ بَشْرًا أَن فِرْعَوْنَ قَالَ لِمُوسَى - وَقَدْ بَعَثَهُ
 اللَّهُ رَسُولًا -: «لَا خَلْقَنَاكَ». فَأَيُّ قَوْلٍ أَقْبَحُ مِنْ هَذَا؟! وَقَالَ فِي قِصَّةِ مُوسَى:
 ﴿إِنَّا رَأَدُّهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الْقَصَصُ: ٧]؛ فَرَّعَمَ بَشْرًا أَن
 اللَّهُ - تَعَالَى - وَعَدَ أُمَّ مُوسَى أَن يُرَدِّدَهُ إِلَيْهَا، وَيَخْلُقَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَاللَّهُ
 - تَعَالَى - أَمَرَهَا بَعْدَ خَلْقِهِ وَوِلَادَتِهِ وَرِضَاعِهِ أَن تُلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ، وَوَعَدَهَا أَن
 يُرَدِّدَهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَن تُلْقِيَهُ، وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿لَا تَجْعَلُوا
 دُعَاءَ الرَّسُولِ لِيُنْصَحَكُمْ كَدُّعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [التَّوْرَةُ: ٦٣]؛ فَرَّعَمَ بَشْرًا
 أَن اللَّهُ - تَعَالَى - قَالَ لِعِبَادِهِ: وَلَا تَخْلُقُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ.

وَقَالَ: ﴿وَتَجْعَلَهُمْ آيَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [الْقَصَصُ: ٥]؛ فَوَعَدَ
 بَعْدَ خَلْقِهِمْ. فَرَّعَمَ بَشْرًا أَن اللَّهُ وَعَدَهُمْ أَن يُؤْمِنَ عَلَيْهِمْ وَيَخْلُقَهُمْ.
 وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]؛
 وَإِنَّمَا خَاطَبَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَن خَلَقَهُ، وَبَعْدَ أَن جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَقَاتَلَ
 أَغْدَاءَهُ، وَقَتَلَ جَالُوتَ. فَرَّعَمَ بَشْرًا أَن اللَّهُ ﷻ قَالَ: إِنَّا خَلَقْنَاكَ خَلِيفَةً فِي
 الْأَرْضِ.

وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
 لَكَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٢٨]؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا دَعَا رَبَّهُمَا، وَهُمَا مَخْلُوقَانِ. مَا أَقْبَحُ
 هَذَا الْقَوْلُ!! وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا
 وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١٠٣]؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَا جَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ تَكْذِيبًا
 لِمَن جَعَلَ ذَلِكَ. وَزَعَمَ بَشْرًا أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - مَا خَلَقَ الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ

والوصيلة والحام، وإنما خلقها الكافر من دون الله عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ - تعالى - .

فقال المأمون: حَسْبُكَ؛ فَقَدْ أُثْبِتَتْ حُجَّتُكَ فِي هَذِهِ كُلِّهَا - كما في المسألة الأولى -، وَانْكَسَرَ قَوْلُ بَشَرٍ، وَبَطَلَتْ دَعْوَاهُ؛ فَارْجِعْ إِلَى بَيَانِ مَا قَدْ انْتَزَعْتَ، وَشَرِّحْهُ وَمَعَانِيهِ، وَمَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، وَمَا هُوَ مِنْ جَعَلٍ مَخْلُوقٍ، وَمَا هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَا تَتَعَامَلُ بِهِ الْعَرَبُ فِي لُغَاتِهِمْ، وَفَرِّقْ مَا بَيْنَ هَذَا وَهَذَا.

قال عبدالعزيز: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ «جَعَلَ» فِي كِتَابِ اللَّهِ يَحْتَمِلُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَعْنَيْيْنِ: مَعْنَى خَلَقَ، وَمَعْنَى صِيرَ. فَلَمَّا كَانَ خَلْقُ خَلْقًا مُحْكَمًا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ الْمَخْلُوقِينَ، فَكَانَ مِنْ صَنْعَةِ الْخَالِقِ - لَمْ يَتَعَبَّدِ اللَّهُ بِهِ الْعِبَادَ، فَيَقُولُ: اخْلُقُوا وَلَا تَخْلُقُوا؛ إِذْ كَانَ الْخَلْقُ لَيْسَ مِنْ صِنَاعَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ فِعْلِ الْخَالِقِ.

ولما كَانَ «جَعَلَ» يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ - مَعْنَى خَلَقَ، وَمَعْنَى صِيرَ -، لَمْ يَدْعِ اللَّهُ فِي ذَلِكَ اشْتِبَاهًا عَلَى خَلْقِهِ؛ فَيُلْحِذُ الْمُلْحِدُونَ، وَيُشَبِّهُهُ الْمَشْبَهُونَ عَلَى خَلْقِهِ، كَمَا فَعَلَ بَشَرٌ وَأَصْحَابُهُ؛ حَتَّى جَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ عِلْمًا وَدَلِيلًا، فَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ «جَعَلَ» الَّذِي بِمَعْنَى خَلَقَ، وَ«جَعَلَ» الَّذِي بِمَعْنَى صِيرَ.

فأما «جَعَلَ» الَّذِي هُوَ عَلَى مَعْنَى خَلَقَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهُ مِنَ الْقَوْلِ الْمَفْصَلِ، فَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِهِ مَفْصَلًا، وَهُوَ يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ، وَالْقَوْلُ الْمَفْصَلُ

يستغني السامع - إذا أخبر به - عن أن تُوصَلَ له الكلمةُ بغيرها من الكلام؛ إذ كانت قائمة بذاتها على معناها. فمن ذلك قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]؛ فسواء عند العرب قال: «جعل»، أو قال: «خلق»؛ لأنها قد عَلِمَتْ أنه أراد بها «خلق»؛ لأنه أُنْزِلَ مِنَ الْقَوْلِ الْمُفَصَّلِ. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [التحل: ٧٢]؛ فَقَالَتِ الْعَرَبُ إِنَّ مَعْنَى هَذَا: وخلق لكم؛ إذ كان قولاً مفصلاً. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [التحل: ٧٨]؛ فَعَقَلَتِ الْعَرَبُ عَنْهُ أَنَّهُ عَنَى: خلق لكم؛ إذ كان من القول المفصل. فسواء قال: «خلق» أو «جعل».

وأما «جعل» الذي هو على معنى التصيير - لا معنى الخلق -؛ فإن الله - تعالى - أُنْزِلَ مِنَ الْقَوْلِ الْمُوَصَّلِ، الذي لا يدري المخاطب به؛ حتى يَصِلَ الكلمةُ بكلمةٍ بعدها، فيعلم ما أراد بها. وَإِنْ تَرَكَهَا مَفْصُولَةً لَمْ يَصِلْهَا بغيرها من الكلام، لَمْ يَفْهَمْ السَّامِعُ لَهَا مَا يُعْنَى بِهَا، وَلَمْ يَقِفْ عَلَى مَا أَرَادَ بِهَا. فمن ذلك: قوله - تعالى -: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]؛ فلو قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾ [ص: ٢٦]، وَلَمْ يَصِلْهَا بِ﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]. لَمْ يَعْقِلْ دَاوُدُ مَا خَاطَبَهُ بِهِ اللَّهُ - تعالى -؛ لأنه خَاطَبَهُ وَهُوَ مَخْلُوقٌ، فَلَمَّا وَصَلَهَا بِ﴿خَلِيفَةً﴾ [ص: ٢٦]، عَقَلَ دَاوُدُ مَا أَرَادَ بِخَطَابِهِ.

وكذلك حين قال لَأُمِّ مُوسَى: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٢٨].

[٧]؛ فَلَوْ لَمْ يَصِلْ «جَاعِلُوهُ» [الْقَصَص: ٧] ب ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الْقَصَص: ٧]؛
 [٧]؛ لَمْ تَعْقِلْ أُمُّ مُوسَى مَا عَنَى اللَّهُ - تَعَالَى - بِقَوْلِهِ: «جَاعِلُوهُ» [الْقَصَص: ٧]؛
 إِذْ كَانَ خَلَقَ مُوسَى مُتَقَدِّمًا لِرُدِّهِ إِلَيْهَا، فَلَمَّا وَصَلَ «جَاعِلُوهُ» [الْقَصَص: ٧]
 ب ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [الْقَصَص: ٧]؛ عَقَلْتُ أُمُّ مُوسَى مَا أَرَادَ اللَّهُ - تَعَالَى -
 بِخَطَابِهَا. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
 دَكًّا﴾ [الْأَعْرَاف: ١٤٣]؛ فَلَوْ لَمْ يَقُلْ: ﴿دَكًّا﴾ [الْأَعْرَاف: ١٤٣] لَمْ
 يَعْقِلْ أَحَدٌ مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ هَذَا؛ إِذْ كَانَ خَلَقَ الْجَبَلَ مُتَقَدِّمًا قَبْلَ أَنْ يَتَجَلَّى لَهُ،
 فَلَمَّا وَصَلَهُ بِذَلِكَ عَقَلَ السَّامِعُ مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٢٨]؛
 فَلَوْ لَمْ يَصِلْ «اجْعَلْنَا» [البَقَرَةُ: ١٢٨] ب ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٢٨] . لَمْ
 يَعْقِلِ السَّامِعُ لِهَذَا الدُّعَاءِ مَا أَرَادَا بِقَوْلِيهِمَا: ﴿وَاجْعَلْنَا﴾ [البَقَرَةُ: ١٢٨] .
 فَلَمَّا وَصَلَهُ ب ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٢٨] عَقَلَ السَّامِعُ مَا أَرَادَا بِدَعْوَتِهِمَا.
 وَكَذَلِكَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٥]؛
 فَلَوْ لَمْ يَصِلْ ﴿الْبَلَدَ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٥] ب ﴿أَمِنًا﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٥] ، لَمْ يَعْقِلْ
 أَحَدٌ مَنِ سَمِعَ دُعَاءَهُ مَا عَنَى بِهِ وَمَا أَرَادَ؛ إِذْ كَانَ الْبَلَدُ قَدْ خُلِقَ مُتَقَدِّمًا
 لِخَلْقِ إِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا وَصَلَ ﴿الْبَلَدَ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٥] ب ﴿أَمِنًا﴾
 [إِبْرَاهِيمَ: ٣٥] عَقَلَ السَّامِعُ مَا أَرَادَ بِهِ وَمَا عَنَى.

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَالَّذِي تَعْرِفُ الْعَرَبُ
 التَّعَامُلَ بِهِ فِي لُغَاتِهَا، وَخَطَابِهَا، وَمَعَانِي كَلَامِهَا، وَمِخَارِجَ أَلْفَاضِهَا؛ هُوَ
 الَّذِي جَرَتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ اللَّهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ؛ إِذْ كَانَ إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِهَا

وَالْتَفَّ عَلَى بُنْيَانِهَا، فَخَاطَبَهُمُ اللَّهُ ﷻ بِمَا عَقَلُوهُ وَعَرَفُوهُ، وَلَمْ يُنْكِرُوهُ؛ وَهَذَا الْقَوْلُ الْمَفْصَلُ وَالْمَوْصَلُ. فَأَرْجِعْ أَنَا وَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيْمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] إِلَى سُنَّةِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ فِي الْجَعْلَيْنِ جَمِيعًا، وَإِلَى سُنَّةِ الْعَرَبِ - أَيْضًا - مِمَّا تَتَعَارَفُهُ وَتَتَعَامَلُ بِهِ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْقَوْلِ الْمَوْصَلِ؛ فَهُوَ كَمَا قُلْتُ: إِنْ اللَّهُ جَعَلَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا؛ أَيْ: صَيَّرَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، وَأَنْزَلَهُ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَلِسَانِهَا، وَلَمْ يَصِيرَهُ أَعْجَمِيًّا فَيُبَيِّنُ لَهُ بِلُغَةَ الْعَجَمِ. وَإِنْ كَانَ مِنَ الْقَوْلِ الْمَفْصَلِ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ بَشِّرٌ: إِنْ اللَّهُ خَلَقَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا. وَلَمْ تَجِدْ ذَلِكَ أَبَدًا، وَإِنَّمَا دَخَلَ الْجَهْلُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَى بَشِيرٍ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَرَبِ، وَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَمَعَانِي كَلَامِهَا، فَتَأَوَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى لُغَةِ الْعَجَمِ الَّتِي لَا تَفْقَهُ مَا تَقُولُ، وَأَنَّهُ تَتَكَلَّمُ بِالشَّيْءِ كَمَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهَا، وَكُلُّ كَلَامِهِمْ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلَا يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَعْتَقِدُهُ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ؛ لِكثْرَةِ خَطِيئَتِهِمْ وَلَحْنِهِمْ وَادِّعَائِهِمْ لِذَلِكَ.

وَسَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ قُرَيْبٍ الْأَصْمَعِيَّ، وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ؛ فَقَالَ لَهُ: أَتَدْغُمُ الْفَاءَ بِالْبَاءِ؟ فَتَبَسَّمَ الْأَصْمَعِيُّ، وَقَبَضَ عَلَى يَدِي - وَكَانَ لِي إِفْقًا صَدِيقًا - فَقَالَ: أَمَا تَسْمَعُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى السَّائِلِ، وَهُوَ مُتَعَجِّبٌ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَقَالَ: يَا هَذَا، أَتَدْغِمُ الْفَاءَ فِي الْبَاءِ فِي لُغَةٍ أُخْرَى؛ لُغَةُ مَانِي السَّاسَانِيِّ يَقُولُونَ^(١)، فَيَدْغُمُونَ الْفَاءَ فِي الْبَاءِ، فَأَمَّا الْعَرَبُ فَلَا

(١) كَذَا بِيَاضٍ فِي الْأَصْلِ.

تَعْرِفُ هَذَا.

قال عبدالعزيز: فَاشْتَدَّ تَبَسُّمُ الْمُأْمُونِ مِنْ قَوْلِ الْأَضْمَعِيِّ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، فَقُلْتُ: وَهَذَا الَّذِي يَأْتِينَا بِهِ بَشَرٌ مِنْ لُغَةِ أَصْحَابِ مَانِي السَّاسَانِي.

فَقَالَ بَشَرٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَذُمُّنَا وَيُكْفِّرُنَا، وَيَقُولُ: إِنَّا نُحَرِّفُ الْقُرْآنَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَقَدْ وَضَعَ مِنْ شَأْنِ الْقُرْآنِ وَقَدْرَهُ، وَسَمَّاهُ بِإِنْقَاصِ الْأَسْمَاءِ، وَوَصَفَهُ بِأَخْسِ الصِّفَاتِ وَأَقْلَاهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - سَمَّاهُ كِتَابًا عَرَبِيًّا، وَسَمَّاهُ كَرِيمًا، فَأَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ تَامٌّ كَامِلٌ؛ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وَسَمَّاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ مُوَصِّلًا وَمَفْصَلًا، فَخَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ وَضَعْفَهُ، وَذَمَّ مَا مَدَحَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الْمُوَصِّلَ عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَسَائِرِ الْخَلْقِ: دُونَ التَّامِّ الصَّحِيحِ الْكَامِلِ؛ إِذَا كَانَ الْمُوَصِّلُ عِنْدَهُمْ جَمِيعًا: هُوَ الْمَلْصَقُ الَّذِي وُصِّلَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَلَفِقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعَ مِنْ قَدْرِ الشَّيْءِ، قَالَ: هُوَ مُوَصِّلٌ مَلْفَقٌ، وَلَيْسَ هُوَ صَحِيحٌ. وَإِنْ قُطِعَ الثُّوبُ، قِيلَ: مَفْصَلٌ مُقَطَّعٌ. فَسَمَّيْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ كِتَابَ اللَّهِ اسْمًا نَاقِصًا ذَمِيمًا، وَقَالَ إِثْمًا وَبَهْتَانًا عَظِيمًا، وَلَوْ قُلْتُ أَنَا هَذَا أَوْ مَا دُونَهُ لَخَطَبَ وَصَاحَ وَجَلَبَ، وَاسْتَغَاثَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْرَجَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؛ وَهُوَ يَقُولُ الْعِظَائِمَ الْيَوْمَ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَخْلُمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَتَغَيَّرُ لِحْلِمِهِ عَلَيْهِ.

فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبَشَرٍ: وَهَذَا - أَيْضًا - مِنْ جَهْلِكَ لَمَا فِي كِتَابِ

اللَّهُ، تَذْمُنِي وَتَزْعُمُ أَنِّي سَمِعْتُ كَلَامَ اللَّهِ نَاقِصًا، وَتُغْرِي بِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ أَعْلَمُ خَلْقِ اللَّهِ بِمَا قُلْتُهُ وَأَوْضَحْتُهِ، وَمَا قُلْتُ إِلَّا مَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -، وَمَا نَسَبْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ وَارْتَضَاهُ لَهُ، وَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ الْفَصِيحَاءِ كَلَامٌ جَيِّدٌ صَحِيحٌ مُرْتَضَى، وَأَنْتِ تَزْعُمُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ هُوَ مِنْ ذَاتِهِ مَخْلُوقٌ، وَتُشَبِّهُهُ بِكَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ مِثْلَ الشَّعْرِ أَوْ قَوْلِ الزُّورِ وَغَيْرِهِ، وَتُنَكِّرُ عَلَيَّ أَنَّ سَمِيئَةَ بِمَا سَمَّاهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِهِ. قَالَ بَشَرٌ: وَأَيْنَ سَمَاءُ مُوَصَّلًا وَمَفْصَلًا؟ قُلْتُ: فِي كِتَابِهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتِ وَلَا تَفْهَمُهُ. قَالَ: فَادْكُزِي ذَلِكَ.

قال عبد العزيز: قُلْتُ: قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القَصَص: ٥١] ؛ وَهُوَ تَسْمِيَةُ اللَّهِ لِقَوْلِهِ، وَتَسْمِيَةُ لِكَلَامِهِ بِنَصِّ التَّنْزِيلِ، لَا بِتَأْوِيلٍ وَلَا بِتَفْسِيرٍ، وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرَّعْد: ٢١] ؛ فَامْتَدَّحَهُمْ بِصِلَةِ مَا يُوَصَّلُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي غَيْرِ آيَةٍ، وَوَعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَحْسَنَ عِدَّةٍ - وَهِيَ الْجَنَّةُ -؛ فَقَالَ: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرَّعْد: ٢٣] الْآيَةَ. فَهَذِهِ مِذْحَةُ اللَّهِ، وَهَذَا ثَنَاءُ اللَّهِ، وَهَذَا جَزَاءُ اللَّهِ لِمَنْ وَصَلَ مَا وَصَلَ اللَّهُ، وَلَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - مَنْ قَطَعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يُوصَلَ، وَلَعَنَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ؛ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرَّعْد: ٢٥] ؛ يَعْنِي: النَّارَ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْخَسِرُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٧] ؛ وَهَذَا ذَمٌّ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - لِمَنْ قَطَعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ

بِصِلَتِهِ، وَهَذَا وَعِيدُ اللَّهِ، وَلَعْنَتُهُ لَهُمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمَفْصَلَ فِي كِتَابِهِ؛ فَقَالَ: ﴿الرَّ كِتَبٌ أُحْكِمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [مُود: ١]، وَقَالَ: ﴿حَدَّ ﴿١﴾﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وَقَالَ: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨] فَهَذَا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ، وَهَذَا تَسْمِيَةُ اللَّهِ لِكِتَابِهِ، وَهَذَا نَسْبَةُ اللَّهِ ﷻ لِقَوْلِهِ، وَاخْتِيَارُهُ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ مَا ارْتَضَاهُ اللَّهُ، وَرَضِيَهُ مِنْ قَائِلِيهِ.

ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَزْعُمُ بَشَرٌ أَنِي سَمَّيْتُ كِتَابَ اللَّهِ اسْمًا نَاقِصًا حَسِيئًا، وَأَنِّي أَتَيْتُ فِي ذَلِكَ بِهِتَانًا عَظِيمًا، وَإِثْمًا كَبِيرًا، وَأَنَّ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ تُنْكِرُ مَا قُلْتُ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ثَبَّتُ اللُّغَةَ وَأَغْلَمُ خَلْقِ اللَّهِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، وَمَا قُلْتُ إِلَّا مَا قَالَ اللَّهُ، وَاخْتَارَهُ، وَارْتَضَاهُ لِكَلَامِهِ، وَمَا تَخْتَارُهُ الْعَرَبُ لِكَلَامِهَا وَتُسَمِّيهِ بِهِ، فَتَقُولُ: مَفْصَلًا وَمَوْصَلًا.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: مَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ إِلَّا مَا تَقُولُهُ الْعَرَبُ وَتَتَعَامَلُ بِهِ وَتَعْرِفُهُ، وَمَا خَرَجْتُ عَنْ مَذْهَبِ الْعَرَبِ، وَلَوْ عَدَلْتُ عَنْ ذَلِكَ مَا سَوَّغْتُكَ الْكَذِبَ عَلَيْهَا.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ!! كَذَبَ بَشَرٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ بِشَهَادَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَفَلَحْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ. فَقَالَ بَشَرٌ: أَوْ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا لُغَاتِ الْعَرَبِ؟ مَا تَعْبُدُ اللَّهُ الْخَلْقَ

بهذا، ولا أَمَرْنَا به، وكلُّ إنسانٍ يتكلَّم بما علَّمَهُ اللهُ، وما كَلَّفَ اللهُ الخلقَ فوق طاقَتِهِمْ، ولا طَالَبَ أولادَ العجمِ بِلُغَةِ العربِ.

قال عبد العزيز: فقلتُ لبشر: فكلَّفَ اللهُ الخلقَ بأن يتكلَّمُوا بما لا يعلمون!! ادَّعَيْتَ العلمَ، وتكلَّمْتَ في القرآن، وتَأَوَّلْتَ كتابَ اللهِ على غير ما عَنَاهُ اللهُ ﷻ، ودَعَوْتَ الخلقَ إلى اتِّبَاعِكَ، وَكَفَرْتَ أَتْبَاعَكَ، وَكَفَرْتَ مَنْ خَالَفَكَ وَأَبْخَثَ دَمَهُ، وَاللهُ ﷻ قد نَهَى الخلقَ جميعاً، فلم يَتَجَاسَرَ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَنْ يَقُولُوا مَا لَا يَعْلَمُونَ؛ فقال للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال لنوح: ﴿فَلَا تَسْتَلِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، وقال نوح معتذراً إلى رَبِّهِ، معترفاً بخطيئته: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]، وقال اللهُ - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] الآية بأسرها. فَأَخْبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ، يَتَّبِعْ مَا تَشَابَهَ مِنَ الْقُرْآنِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ؛ فَذَمُّهُمْ بِهَذَا، وَأَخْبَرَ بِذَمِّ فِعْلِهِمْ وَطَرِيقِهِمْ الَّذِي سَلَكَوهُ. فقال بشر: اخْطُبْ حَتَّى تَشْبَعَ مِنَ الْكَلَامِ، ثُمَّ أَخَاطَبَكَ. قال عبد العزيز: فقلتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَشَرًا قَدْ تَحَيَّرَ فِي ضَلَالَتِهِ، وَعَمِيَ عَنِ رُشْدِهِ، وَبَانَتْ فَضِيحَتُهُ، وَبَطَلَ قَوْلُهُ وَمَذْهَبُهُ.

فقال بشر: أَخْبِرْنِي يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ، تَعْبُدُ اللهُ الخلقَ بأن يعرفوا الموصل والمفصل؟ وما يَضُرُّ الخلقَ أَنْ لَا يَعْلَمُوا ذَلِكَ وَلَا يَعْرِفُوهُ!!

فقال المأمون: رَجَعْنَا إِلَى الْكَلَامِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ مَضَى هَذَا، وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ فِيهِ؛ فَاخْرُجْ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. فقال بشر: قد شَغَلَنِي بِكَلَامِهِ وَخُطْبِهِ عَنِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ، وَأَنْسَانِي مَا أحتاجُ إِلَيْهِ.

فقلتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لِي حَتَّى أُجِيبَهُ عَنْ قَوْلِهِ. قال: افْعَلْ. فقلتُ: يَا بَشَرُ، نَعَمْ؛ قَدْ تَعَبَّدَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِأَنْ يَعْرِفُوا ذَا وَيَتَعَلَّمُوهُ؛ لِئَلَّا يَصِلُوا مَا لَمْ يُوصِلِ اللَّهُ، وَيَقْطَعُوا مَا وَصَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - . قال بشر: اثْبِتْ بِحُجَّةٍ وَدَلِيلٍ لِمَا قُلْتَ.

فقلتُ: أَمَّا سَمِعْتَ مَا قَرَأْتُ عَلَيْكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - ، وَمَا تَلَوْتُ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمَاتِ فِي وَصْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُوصَلَ، وَقَطْعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُقْطَعَ، وَمَا وَعَدَ اللَّهُ - تَعَالَى - هَؤُلَاءِ مِنْ حَسَنِ الثَّوَابِ وَعَقْبِي الدَّارِ، وَمَا وَعَدَ هَؤُلَاءِ مِنَ اللَّعْنَةِ وَالْعَذَابِ وَسُوءِ الدَّارِ.

قال بشر: دَعِ ذِكْرَ مَا مَضَى؛ فَمَا لَكَ فِيهِ حُجَّةٌ، وَاحْتَجَّ السَّاعَةُ بِشَيْءٍ أَفْهَمُهُ.

فقلتُ لَهُ: صَدَقْتَ؛ إِنَّكَ مَا فَهِمْتَ مَا مَضَى، وَكَيْفَ تَفْهَمُهُ وَقَدْ مُنِعْتَ مِنْ فَهْمِهِ؟

فقلتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ فِي بَعْضِ مَا مَضَى لَكَفَايَةً وَبَلَاغًا، وَبَشَرٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا مِمَّا مَضَى، وَأَنَا أَتَكَلَّمُ فِي ذِكْرِ الْمَفْصَلِ وَالْمَوْصِلِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَاحْتَجُّ لِلْعَرَبِ فِي صِحَّةِ لُغَاتِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ. فقال المأمون: إِذَا كَانَ لَا يَفْهَمُ مَا مَضَى، فَكَذَلِكَ لَا يَفْهَمُ مَا يَأْتِي بَعْدَ إِعَادَةِ مَا مَضَى؛ وَظَهَرَتْ

لك فيه الحجة، فإن هذا وقت الزوال. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي حتى أتكلّم بشيء لم أتكلّم به في هذا المعنى؛ لأقيم به الحجة على بشر، وأزجو أن يستخسّنه أمير المؤمنين من غير إطالة الكلام. فقال: تكلّم وأوجز.

قال: فأقبلت على بشر، فقلت: زعمت أن الله - تعالى - لم يتعبّد الخلق بمعرفة الموصل والمفصل؟ فقال: نعم؛ هذا شيء لم يتعبّد الله الخلق به. فقلت: أخبرني عمّن قال: من قال لم يتعبّد الله الخلق بمعرفة شيء من هذا أو غيره، أو زاد فيه أو نقص؛ كان كافراً - يكون صادقاً أم كاذباً؟ فقال: بل كاذباً؛ وإنما أقول: إن كل شيء إذا زيد فيه أو نقص منه أو غير عما كان عليه، كان فاعل ذلك كافراً؛ لأن الله تعالى قد تعبّد الخلق بمعرفته وعلمه. قلت: فأفني وأجب نفسك عني، وأقر بما أنكرت. فقال بشر: دع التشبث عنك وأجب، ودع الكلام، وأقم الشاهد والدليل على ما تقول.

قال عبدالعزيز - رحمه الله تعالى -: فأقبلت على المأمون، فقلت: قال الله - تعالى -: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ فإن قال رجل: شهد الله أنه لا إله. وقطع الكلام، والصلة عامداً، كان كافراً بإجماع الأمة؛ لأنه يزعم أنه شهد الله أن لا إله، وشهدت الملائكة وأولو العلم أن لا إله. فمن قال هذا عامداً كان كافراً خلّال الدم؛ لأنه أعظم الفرية على الله - تعالى - وأبطل الربوبية، وجحد أن يكون الله إلهاً، وأشهد الله والملائكة وأولي العلم على كذبه، وإذا

وَصَلَ الْكَلِمَةَ كَمَا وَصَلَهَا اللَّهُ - تعالى - ، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] . كَانَ صَادِقًا، وَكَانَ قَدْ قَالَهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ، وَكَمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ، وَشَهِدَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَأُولُوا الْعِلْمِ.

وكذلك قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، فِي أَرْبَعِينَ مَوْضِعًا مِنَ التَّهْلِيلِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى - مَنْ فَصَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَنْ صَلَاتِهِ عَامِدًا كَانَ كَافِرًا حَتَّى يَصِلَهُ كَمَا وَصَلَهُ اللَّهُ - . وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] ؛ فُلُو قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي . وَقَطَعَ الصَّلَاةَ عَامِدًا، كَانَ كَافِرًا حَلَالَ الدَّمِ؛ حَتَّى يَصِلَ الْأَوَّلَ بِالثَّانِي كَمَا وَصَلَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - . وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ؛ فُلُو قَالَ قَائِلٌ: وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا . وَقَطَعَ الصَّلَاةَ عَامِدًا، كَانَ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ - تعالى - لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَمَنْ زَعَمَ هَذَا، فَقَدْ رَدَّ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ، وَقَوْلَ اللَّهِ وَشَهَادَتَهُ لِنَفْسِهِ يَعْلَمُ الْغَيْبَ؛ فَهُوَ كَافِرٌ بِاجْمَاعِ الْأُمَّةِ، فَإِذَا وَصَلَ، فَقَالَ: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] . كَانَ صَادِقًا، وَكَانَ قَدْ قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ، وَوَصَلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ . فَقُلْتُ: وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . فَقَالَ: يَجْزِيكَ مِنْ ذَلِكَ آيَةٌ وَاحِدَةٌ.

فقلت لبشر: اسمع باقي مسألتك. قال: قل.

قلت: وأما الفصل الذي لا تجوز صلاته؛ فهو قول الله - تعالى -:

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [التحل: ٦٠]؛

فمن قال: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ﴾ [التحل: ٦٠].

وَقَطَعَ الكلام عامداً، فهو كافر حلال الدم؛ لأنه زعم أن لله مثل السوء؛

شبه الله ﷻ بالذين لا يؤمنون بالآخرة، فأدخله معهم في المثل السوء. فلو

وقف على ﴿مَثَلُ السَّوِّ﴾، وقطع الكلام، كان كما قال الله، وفصل ما

فصل الله، ولم يصل ما قطعه الله منه. ثم قال الله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ

الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ [التوبة: ٤٠]؛ وهنا الكلام تام عند القراء،

ثم يتدنى ويقول: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فلو

قرأ قارئ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى

وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وأراد أن الله أخبر بذلك؛ فمن قال هذا

فقد أعظم الفرية على الله - تعالى، وأدعى على الله الكذب، ووصل ما

فصله الله. وإذا قرأ رجل: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا

السُّفْلَى﴾ [التوبة: ٤٠]، وقطع ثم ابتداء، فقال: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ

الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] كان قد قرأ كما قال الله، وفصل ما فصل الله.

فأقبل عليّ المأمون، وقال: أحسنت يا عبدالعزيز وبلغت، فلا يحتاج

إلى زيادة. فقلت: يا أمير المؤمنين، مثل هذا في القرآن كثير. فقال:

يجزيك من ذلك آية واحدة.

ثم أقبل المأمون على بشري، فقال: يا بشر، هل عندك شيء؟ فتسأل عبد العزيز عنه، أو تحتج به عليه؛ فقد ظهرت حُجَّتُهُ عليك بالمسألتين جميعاً، وصحَّ قوله، وصحَّ ما ادَّعاه. فقال بشر: يا أمير المؤمنين، هذا يُريد نص القرآن لكل شيء يتكلم به، وهذا مما لا يقدر عليه؛ لأنه ليس كل ما يتكلم به الناس - مما يحتاجون إليه من علم أديانهم - يوجد في كتاب الله بنص التنزيل؛ وإنما يوجد فيه بالتأويل.

فقال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، كل ما يتكلم به الناس، مما يحتاجون إليه من علم أديانهم، ويتنازعون فيه منها - فهو موجود في القرآن؛ لقوله - تعالى -: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ فأخبر الله - تعالى - أنه ما فرط في الكتاب من شيء، فعقل ذلك من عقله، وجعله من جهله.

قال: فجئنا محمد بن الجهم على ركبتيه، وقال: يا عبد العزيز، تزعم أن ما من شيء يتكلم به الناس، ويتنازعون فيه، ويحتاجون إلى معرفته - إلا وعلمه موجود بنص التنزيل، لا بتأويل ولا بتفسير؟ قلت: نعم؛ قلت، وهكذا أقول، فسئل عما شئت؛ حتى أجيبك عليه من القرآن بنص التنزيل: فوضع محمد يده على حصير مد، يتقى مبسوطاً في الإيوان، فقال: أوجدني أن هذا الحصير مخلوق بنص القرآن؟ فقلت: علي أن أوجد ذلك بنص التنزيل.

ثم أقبلت عليه، فقلت: أخبرني عن هذا؛ أليس هو من سَعَفِ النخل،

وجلود الأنعام؟ قال: نعم. فقلت: وهل فيه شيء غير هذا؟ قال: لا؛ بل فيه صناعة الإنسان الذي يَعْمَلُهُ حَتَّى صَارَ حَصِيرًا. فقلت: قال الله - تعالى - في النخل: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الراية: ٧٢]؛ فهو نصٌ بخلق النخل والسعف. وأما الجلود؛ فقال الله - تعالى -: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ﴾ [التحل: ٥] وهذا خلق الجلود. وأما الصانع؛ فقال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [الحجر: ٢٦] فهذا خلق الصانع. فَصَارَ الحَصِيرُ مخلوقًا بنص التنزيل، لا بتأويل ولا بتفسير؛ فهل عندك مثل هذا لخلق القرآن ما تذكُّرُهُ أو تحتج به، وَإِلَّا فَقَدْ بَطُلَ ما تدَّعونَه من خلقه، وَصَحَّ - ولم يزل صحيحًا - أن القرآن كلامُ الله، غير مخلوقٍ من كُلِّ جهة، وعلي أي جهة تصرفت.

فَصَاحَ المَأْمُون: يا محمد بن الجهم، خل بين الرجل وبين صاحبه، وَإِيَّاكَ والمعارضة، ثُمَّ أَقْبَلَ المَأْمُونُ على بشر، فقال: هل عندك شيء تُنَازِرُهُ قبل أن نَصْرِفَهُ وَنَقُومَ؟ فقد طَالَ المَجْلِسُ وَصُلِّيَتِ الظُّهْرُ؟ فقال بشر: يا أمير المؤمنين، عندي أشياء كثيرة إِلَّا أنه يقول بنص التنزيل، وأنا أقول بالنظر والقياس، فَلْيَدْعُ مناظرتي بنص التنزيل، وَلْيُنَازِرْنِي بغيره؛ فَإِنْ لم يَدْعُ قَوْلَهُ وَيَزْجِعْ عَنْهُ، ويقول بقولي، ويقول بخلق القرآن الساعة؛ فدمي لك حلال.

فقال المَأْمُون: نقول لرجل يُنَازِرُ بالكتاب والسنة دَعُوهما واخرُج إلى النظر والقياس؟! هذا ما لَا يجوز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تأذن لي أن أناظره كما سأل، ولا أحتج عليه بآية من كتاب الله، ولا سنة رسوله؛ ولكن على جهة النظر والقياس، ويكون أمير المؤمنين الشاهد علينا، والمتحفظ لألفاظنا، فإن أقام بشر علي الحجة - كما زعم - وأقررت بشيء مما قال، ورجعت عن قولي - فدمي حلال كما قال بشر، وإن أثبت الحجة على بشر من جهة النظر والقياس، كما أثبتتها عليه من الكتاب والسنة، وشهد عليه أمير المؤمنين بذلك - فقد حل دمه كما شرط على نفسه.

قال المأمون: وتفضل ذلك؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، على أن بشرًا يجيبني عن كل ما سألته عنه، ولا يجيد عن جوابي كما فعل في الأول. فقال بشر: نعم؛ علي أن أجيبك عن كل شيء سألتني عنه، ولا أجيد عنه.

قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟ قال: أسأل أنت. وطمع في هو وأصحابه، وظنوا أني إن خرجت عن الكتاب والسنة لم أحسن أن أتكلّم بغيرهما؛ فقلت: يا بشر، تقول: إن كلام الله مخلوق^(١)؟ قال: أنا أقول: إن الله خلق القرآن.

قلت له: يلزمك في قولك هذا واحدة من ثلاث: أن تقول: إن الله خلق كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائمًا بنفسه وذاته؛ فقل ما عندك.

(١) عبارة «تقول: إن كلام الله مخلوق» مما في درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية من هذه الرسالة؛ وهي الصواب.

فقال بشر: أنا أقول: إنه مخلوق، وإنه خَلَقَهُ كما خَلَقَ الأشياءَ كُلَّهَا.
قال عبدالعزيز: تَرَكْنَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ عِنْدَ هَرَبِ بَشَرٍ عَنْهُمَا، وَنَظَرْتُهُ
بِالْقِيَاسِ وَالنَّظَرِ؛ لَمَّا ادَّعَاهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ يُحْسِنُهُ، وَيُقِيمُ عَلَيَّ الْحُجَّةَ بِهِ؛ حَتَّى
أَزْجَعَ عَن قَوْلِي، وَأَقْرَأَ مَعَهُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَشَرَطَ عَلَيَّ نَفْسِي إِيْجَابَتِي عَمَّا
أَسْأَلُهُ عَنْهُ، وَلَا يَجِيبُ عَنِ الْجَوَابِ؛ وَقَدْ مَالَ بَشَرٌ إِلَى الْحَيْدَةِ، وَنَقَضَ مَا
شَرَطَ عَلَيَّ نَفْسِهِ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الشَّاهِدُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَعْلَى عَيْنًا فِيمَا يَرَاهُ مِنْ
قَطْعِ الْمَجْلِسِ وَصَرْفِي؛ فَإِنْ بَشَرًا إِنَّمَا يُحْسِنُ أَنْ يُنَاطِرَ مَنْ لَا يَفْهَمُ وَلَا يَنْدِرِي
مَا يَقُولُ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَدْعُهُ يَخْلُصُ كَلِمَةً وَاحِدَةً؛ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيَّ مُنَاطَرَتِهِ.
فقال له المأمون: أَجِبْ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَمَّا سَأَلَكَ عَنْهُ، فَقَدْ تَرَكَ قَوْلَهُ
وَمَذْهَبَهُ، وَخَرَجَ عَنْهُ إِلَى مَا ادَّعَيْتَ فَهَمَّهُ وَمَعْرِفَتَهُ؛ فَلَا تَحِذْ عَنْ جَوَابِهِ.
فقال بشر: قَدْ أَجَبْتُهُ؛ وَلَكِنَّهُ يَتَعَمَّنُ.

فقال المأمون: يَأْتِيْ عَلَيْكَ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَّا أَنْ تُجِيبَهُ عَمَّا سَأَلَكَ عَنْهُ. فقال
بشر: مَا عِنْدِي جَوَابٌ غَيْرَ مَا أَجَبْتُهُ بِهِ.

فأقبل عليَّ المأمون، فقال: قَدْ حَادَ بَشَرٌ عَنْ جَوَابِكَ، فَتَكَلَّمْتُ أَنْتَ يَا
عَبْدَ الْعَزِيزِ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَبَيَانِهَا، وَمَا عَلَيَّ بَشَرٍ فِيهَا لَوْ أَجَابَكَ
عَنْهَا؛ لَيَقِفَ مَنْ يَخْضَرُنَا عَلَيَّ ذَلِكَ.

قلت: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، سَأَلْتُ بَشَرًا عَنْ كَلَامِ اللَّهِ: مَخْلُوقٌ هُوَ؟
فقال: نَعَمْ. قلتُ لَهُ: يَلْزِمُكَ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلَاثٍ لَا بُدَّ مِنْهَا: أَنْ تَقُولَ:
اللَّهُ عَمَّا خَلَقَ كَلَامَهُ فِي نَفْسِهِ، أَوْ خَلَقَهُ فِي غَيْرِهِ، أَوْ خَلَقَهُ قَائِمًا بِنَفْسِهِ
وَذَاتِهِ.

فإن قال: إن الله خلقَ كَلَامَهُ في نفسه. فهذا محالٌ باطلٌ؛ لا يَجِدُ السَّبِيلَ إلى القول به من قياسٍ، ولا نظيرٍ، ولا معقولٍ؛ لأنَّ الله لا يَكُونُ مكانًا للحوادث، ولا يكون فيه شيءٌ مخلوقٌ، ولا يَكُونُ ناقصًا فيزيد بِشَيْءٍ إِذَا خَلَقَهُ؛ ومن قال هذا فَقَدْ كَفَرَ بالله العظيم، وَحُلَّ دَمُهُ؛ وإن قال: خَلَقَ كَلَامَهُ في غيره. فهذا - أيضًا - محالٌ باطلٌ؛ لا يَجِدُ السَّبِيلَ إلى القول به من قياسٍ، ولا نظيرٍ، ولا معقولٍ؛ لظهور الشناعة والكفر من قبله؛ لأنه يَلْزَمُ قَائِلُ هذه المقالة - في القياس والنظر المعقول - أن يَجْعَلَ كُلَّ كلامه خَلَقَهُ الله في غَيْرِهِ؛ هو كلامُ الله، فيجعل الشعر، وقول الزور، والفُحْشَ، والحَنَاءَ، وكُلَّ كلام ذمُّ الله وذمُّ قائله؛ من كَلَامِ الكُفْرِ والسُّخْرِ وغيره - لله. تَعَالَى الله عن ذلك.

وإن قال: خَلَقَ كَلَامَهُ قائمًا بنفسه وذاته. فهذا هو المحالُّ الباطل الذي لا يَجِدُ السَّبِيلَ إلى القول به من قياسٍ، ولا نظيرٍ، ولا معقولٍ؛ لأنه لا يَكُونُ الكلام إلا من مُتَكَلِّمٍ، كما لا تكون الإرادة إلا من مُرِيدٍ، ولا العلم إلا من عالمٍ، ولا القدرة إلا من قَدِيرٍ.

ولا رُؤْيَى، ولا يُرَى أبدًا كلامٌ قائمٌ بنفسه، متكلمٌ بذاته، وهذا ما لا يُعْقَلُ، ولا يُعرف، ولا يثبت من قياسٍ ولا نظيرٍ ولا غيره، فَلَمَّا استحالَ من هذه الجهات أن يكون ^(١) القرآن مخلوقًا، ثَبَّتَ أنه صفةٌ لله - جل وعلا -

(١) عبارة «من هذه الجهات أن يكون» من درء تعارض العقل والنقل؛ نقلًا عن هذه الرسالة.

وصفاتُ الله - تعالى - غَيْرُ مخلوقة، فَيَبْطُلُ قَوْلُ بشرٍ من جِهَةِ النظر والقياس، كما بَطَلَ من الكتاب والسُّنة.

قال المأمون: أَحْسَنْتَ يا عبدالعزیز.

فقال بشر: دَعْ هذه المسألة، واسأل عن غيرها؛ حتى يخرج بيننا شيءٌ يسمع.

قال عبدالعزیز: فقلتُ: يا بشر، تَقُولُ: إن الله كان ولا شيء، وكان ولم يَفْعَلْ شيئاً، وكان ولم يَخْلُقْ شيئاً؟ قال: نعم؛ هكذا أَقُولُ. فقلتُ: بِأَيِّ شيءٍ حَدَّثْتَ الأشياءَ بعد أن لم تكن شيئاً؛ هي حَدَّثَتْ بنفسها أم الله أَخْدَثَهَا؟ قال بشر: بَلِ الله أَخْدَثَهَا. فقلتُ له: بِأَيِّ شيءٍ أَحْدَثَهَا؟ قال بشر: بِقُدْرَتِهِ. قلتُ: فليست تقول: إنه لم يَزَلْ قادراً؟ قال: كَذَلِكَ أَقُولُ. قلتُ: تقول: إنه لم يَزَلْ يفعل؟ قال: لا أَقُولُ هذا. قلتُ: فلا بُدَّ أن تقول: إنه خَلَقَ بالفعل الذي كان عن القدرة، وليس الفعلُ هو القدرة؛ لأن القدرة صِفَةٌ من صفاتِ الله، ولا يُقَالُ لصفاتِ الله: هِيَ الله، ولا هِيَ غَيْرُ الله. وهذا يلزمك القول به.

قال بشر: ويلزمك - أيضاً - أن تقول: إنه لم يَزَلْ يفعل ويخلق، وإذا قُلْتَ ذلك؛ تَبَيَّنَّا أَنَّ المخلوق لم يَزَلْ مع الخالق. قال: فقلتُ لبشر: إِنِّي لم أَقُلْ: هذا، وليس لك أن تَحْكُمَ عَلَيَّ، وَتَحْكِي عَنِّي ما لم أَقُلْ، وَتُلْزِمَنِي ما لم يلزميني؛ إِنِّي لم أَقُلْ: إنه لم يَزَلِ الخالق يخلق، ولم يَزَلِ الفاعل يفعل. فيلزميني ما قُلْتُ؛ وإنما قلتُ: لم يَزَلِ الفاعل سيفعل، ولم يَزَلِ الخالق

سيخلق^(١)؛ لأن الفعل صفة لله يَقْدِرُ عليها، ولا يَمْنَعُهُ منها مانع.
قال بشر: أنا أقول^(٢): إنه أحدث الأشياء بِقُدْرَتِهِ، فَقُلْ أنت ما شئت.
قال عبدالعزيز: قلت: يا أمير المؤمنين، قد قال بشر: إن الله كان ولا شيء، وإنه أحدث الأشياء بَعْدَ أن لم تكن شيئاً، بقدرته. فقلت أنا: أحدثها بِأَمْرِهِ وَقَوْلِهِ عن قُدْرَتِهِ.

فقال المأمون: قد حَفِظْتُ عليكما قَوْلُكُمَا. فقلت: يا أمير المؤمنين، لن يَخْلُقَ أن يَكُونَ أَوَّلُ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللهُ، خُلِقَ^(٣) بقولِ قائله، أو بإرادة أرادها، أو بقدرة قدرها.

قال المأمون: هكذا هو، قد وافقك بشر في القدرة والإرادة، وخالفك في القول. قلت: يا أمير المؤمنين، أي ذلك كان؛ فقد تَبَيَّنَ أن هَاهُنَا إرادة ومُرِيدًا ومُرَادًا^(٤)، وَقَوْلًا وَقَائِلًا وَمَقُولًا لَهُ، وَقُدْرَةً وَقَدِيرًا وَمَقْدُورًا عَلَيْهِ، وذلك كُلُّهُ متقدم قَبْلَ الخلق، وما كان مُتَقَدِّمًا قَبْلَ الخلق، فليس هو مِنَ الخلقِ في شَيْءٍ؛ وقد كَسَرْتُ - والله - قَوْلَ بشرٍ، وَدَحَضْتُ حُجَّتَهُ؛ بِإِقْرَارِهِ

(١) علق شيخ الإسلام - في درء تعارض العقل والنقل (ج ٢ ص ١٤٠) بهامش منهاج السنة - على قول عبدالعزيز: «إنما قلت: أنه لم يَزَلِ الفاعل سيفعل، ولم يَزَلِ الخالق سيخلق؛ لأن الفعل صفة لله». علق عليه بقوله: «لا شبهة أن هذه الزيادة - أي: في بعض نسخ «الحيدة» - ليست من كلام عبدالعزيز؛ فإنها لا تُناسِبُ ما ذكره في مناظرته المستقيمة، ولم يتقدم من عبدالعزيز ذِكْرُ هذا الكلام، ولا ما يَدُلُّ عليه».

(٢) لفظ «أنا أقول» من درء تعارض العقل والنقل.

(٣) لفظ «خلق» من درء تعارض العقل والنقل.

(٤) لفظ «ومرادًا» من درء تعارض العقل والنقل.

بلسانه بالنظر والمعقول، ولم يَتَّقِ إِلَّا الْقِيَّاسَ^(١)، وَأَنَا أَكْثَرُهُ بِالْقِيَّاسِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ..

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: هَاتِ، وَأَوْجِزْ قَبْلَ خُرُوجِ وَقْتِ الصَّلَاةِ.
فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ كَانَ لِبَشَرٍ غَلَامَانِ، وَأَنَا لَا أَجِدُ لِهَمَا خَبْرًا مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ بَشَرٍ، وَيُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: خَالِدٌ، وَلِلْآخَرِ: يَزِيدٌ. وَكَانَ بَشَرٌ غَائِبًا عَنِّي بِحَيْثُ لَا أَرَاهُ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بَشَرٌ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ كِتَابًا، يَقُولُ فِي كُلِّ كِتَابٍ مِنْهَا: اذْفَعْ إِلَى خَالِدٍ غَلَامِي هَذَا الْكِتَابَ. وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ وَخَمْسِينَ كِتَابًا، يَقُولُ: اذْفَعْ إِلَى يَزِيدٍ هَذَا الْكِتَابَ. وَلَمْ يَقُلْ: (غَلَامِي)، ثُمَّ قَدِمَ بَشَرٌ مِنْ سَفَرِهِ، فَقَالَ لِي: أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ يَزِيدَ غَلَامِي؟ فَقُلْتُ: قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ وَخَمْسِينَ كِتَابًا، وَقُلْتُ: اذْفَعْ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى يَزِيدٍ. وَلَمْ تَقُلْ: (غَلَامِي)، وَكَتَبْتُ وَلَمْ أَسْمَعْكَ تَقُولُ: (غَلَامِي)، وَأَنَا لَا أَجِدُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْكَ، وَلَا أَغْرِفُ خَبْرَهُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِكَ، وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ كِتَابًا: اذْفَعْ إِلَى خَالِدٍ غَلَامِي هَذَا الْكِتَابَ. فَعَلِمْتُ بِكِتَابِكَ أَنَّهُ غَلَامُكَ، ثُمَّ كَتَبْتُ إِلَيْهِ كِتَابًا، جَمَعْتُهُمَا فِيهِ، فَقُلْتُ: اذْفَعْ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى خَالِدٍ غَلَامِي، وَإِلَى يَزِيدٍ. وَلَمْ تَقُلْ: (غَلَامِي)، فَمِنْ أَتَيْنَ أَعْلَمُ أَنَّ يَزِيدَ غَلَامُكَ، وَلَسْتُ أَعْلَمُ خَبْرَهُمَا مِنْ أَحَدٍ غَيْرِكَ.

فَقَالَ لِي بَشَرٌ: فَرَطْتُ. فَقُلْتُ: بَشَرٌ فَرَطَ. فَحَلَفْتُ أَنَّ بَشَرًا فَرَطَ،

(١) عبارة درء تعارض العقل والنقل المنقولة عن هذه الرسالة «فقد كسرتُ قَوْلَ بَشَرٍ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالنَّظَرِ، وَالْمَعْقُولِ».

وَحَلَفَ بَشْرٌ أَنِّي فَرَطْتُ؛ حَيْثُ لَمْ أَغْلَمْ أَنَّ يَزِيدَ غَلَامُهُ مِنْ كُتُبِهِ؛ فَأَيُّنَا الْمَفْرُطُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: بِشْرُ الْمَفْرُطِ.

فَقَالَ بَشْرٌ: وَإِيشَ هَذَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ!! تُرِيدُ أَنْ تُثَبِّتَ بِهِذَا السُّؤَالَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ، مَتَى كَانَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ وَهَذَا الْكَلَامُ؟ فَقُلْتُ: اسْمَعْ حَتَّى تَقِفَ عَلَى مَا أَرَدْتُ.

وَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَخْبَرَنَا فِي كِتَابِهِ بِخَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا، مَا ذَكَرَهُ فِي مَوْضِعٍ مِنْهَا إِلَّا أَخْبَرَ عَنْ خَلْقِهِ، وَذَكَرَ الْقُرْآنُ فِي أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا، فَلَمْ يُخْبِرْ عَنْ خَلْقِهِ فِي مَوْضِعٍ مِنْهَا، وَلَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِنْسَانِ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَأَخْبَرَ عَنِ الْخَلْقِ لِلْإِنْسَانِ، وَنَفَى الْخَلْقَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الْزَخْرُ ۝ ١﴾ عِلْمَ الْقُرْآنِ ۝ ٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ ٣﴾ عِلْمَهُ الْبَيَانِ ۝ ٤﴾ [الرحمن: ١: ٤]؛ فَفَرَّقَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِنْسَانِ، فَزَعَمَ بَشْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ فَرَطَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ، فَهَذَا كَثْرُ قَوْلِ بَشْرٍ بِالْقِيَاسِ.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: أَحْسَنْتَ يَا عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَحَمَلْتُ بَيْنَ يَدَيَّ، وَأَنْصَرَفْتُ مِنْ مَجْلِسِهِ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ وَأَجْمَلِهَا. قَدْ أَعَزَّ اللَّهُ ﷻ دِينَهُ وَأَعَزَّ أَهْلَهُ، وَأَذَلَّ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى تَشْدِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ؛ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمُسْتَحَقُّهُ.

قال عبدالعزیز: فسر المسلمون جميعاً بما وهبه الله لهم من إظهار الحق وقمع الباطل، وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفها من الغم والحزن، وجعل الناس يجيئون إلي أفواجا حتى أغلقت بابي، واختجبت عنهم؛ خوفاً على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا، فقالوا: لا بد أن تُملّي علينا ما جرى لتعرفه وتعلمه. فهبت ذلك، وتخوفت سوء عاقبته، فلما ألحوا علي، قلت: أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يجوز علي فيه شيء، ولا حَجَر في ذكره. فَرَضُوا بِذَلِكَ مِنِّي، فأمليت عليهم أوراقاً مقدار عشر أوراق ونحوها مختصرة؛ لِأَقْطَعَهُمْ بِهَا عَنْ نَفْسِي وَعَنْ مُلَازِمَةِ بَابِي، وَلَمْ يَنْهَيْأ لِي أَنْ أَشْرَحَ هَذَا كُلَّهُ؛ مِمَّا تَخَوَّفْتُ عَلَى نَفْسِي مِمَّا قَدْ يُلْحِقُنِي بَعْدَ هَذَا الْمَجْلَسِ، وَمَا جَرَى بِسَبَبِ الْأَوْرَاقِ عَلَى النَّاسِ؛ وَكَتَبُوهَا عَنِّي فِي كِتَابٍ غَيْرِ هَذَا. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

(ثم والحمد لله)

«وقد قُوبِلَتْ هذه النسخة على الطبعة المصرية الحسينية للحيدة، وعلى ما وَرَدَ في دَرَجَةِ تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية من نصوص كتاب الحيدة». قام بِمُقَابَلَتِهِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلِ الْأَنْصَارِيِّ.



سُئِلَتْ وَالْجَوَابُ عَنْهَا

بقلم الأستاذ

عبدالعزیز بن عبدالرحمن آل الشيخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَكَ حَمْدِي وتمجيدِي، وَذُلِّي وخضوعي؛ يَا مَنْ خَلَقْتَنِي مِنَ الْعَدَمِ
وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِمَا لَا أَسْتَطِيعُ أَدَاءَ الشُّكْرِ لَكَ عَلَيْهِ.

فَلَكَ الْحَمْدُ وَالثناءُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ، وَصَلَاتِي وَتَسْلِيمِي عَلَى صَفْوَةِ
الرُّسُلِ، وَأَكْرَمِ الْخَلْقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ الطَّاهِرِينَ الْمُطَهَّرِينَ؛ وَبَعْدُ...

فَلَعَلَّ مِنَ الْمُنَاسِبِ تَسْجِيلَ بَعْضِ شَبَهَاتٍ وَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِصِغَةِ السُّؤَالِ،
وَأَنَّ الْمَوْضُوعَ الَّذِي تَتَضَمَّنُهُ هَذِهِ الشَّبَهَاتُ لَا يَخْرُجُ عَنْ صِفَاتِ الْبَارِي
وَعُلُوِّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَهُوَ مَا دَارَتْ الْمُنَازَعَةُ بَيْنَ الْإِمَامِ الْكِنَانِيِّ،
وَالْمُرَيْسِيِّ حَوْلَهُ، وَلِذَا فَقَدْ رَأَيْتُ تَسْجِيلَهَا، مَعَ الْفَارِقِ بَيْنَ مَكَانَةِ الْإِمَامِ
الْكِنَانِيِّ، وَعُلُوِّ قَدْرِهِ، وَبَيْنَ كَاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ؛ إِلَّا أَنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ
مِنْ وَرَاءِ تَدْوِينِهَا عَقِبُ كِتَابِ الْحَيْدَةِ فَائِدَةٌ، وَخُصُوصًا فِي الْمَحِيطِ الْعِلْمِيِّ
الَّذِي يَجْمَعُنِي بِزُمَلَاءَ، بَاعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ التَّخْطِيطُ الْجُغْرَافِيُّ، وَجَمْعَتُنَا
بِهِمْ وَحْدَةُ الْإِسْلَامِ، وَوَحْدَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَوَحْدَةُ الْهَدَفِ، وَقَدْ كَانَ
لِهَذِهِ الْأَسْئَلَةِ مَقْدَمَةٌ لَا مَانِعَ مِنْ ذِكْرِهَا.

لَقَدْ جَمَعْتَنِي الدِّرَاسَةُ بِزُمَلَاءَ مِصْرِيِّينَ، وَسُورِيِّينَ، وَعِرَاقِيِّينَ،
وَهِنْدِيِّينَ، وَسُودَانِيِّينَ؛ اجْتَمَعْتُ بِهِمْ فِي أَرْضِ الْكِنَانَةِ، وَفِي رُبُوعِ كَلِيَّةِ
الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَبَحْثِي الَّذِي أَكْتُبُ عَنْهُ كَانَ - بَادِيٌ ذِي بَدْءٍ - بَيْنِي وَبَيْنَ بَعْضِ

الأساتذة الأجلاء، وبين بعض الزملاء؛ ولكنه لا يَلْبَثُ أن يُنْسَى مع انتهاء المجلس، إلا هذه المناقشة التي تَزَعَّمَهَا زميلٌ لي من أبناء السودان العزيز، وَلَيْسَمَخَ لي إِذْ قُلْتُ: إنه من المتحمسين للأشعرية، والمهاجمين لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

ويبدو أن هذا الزميل لم يَقْنَعْ بما دار في المناقشة، فَنَاولَنِي ورقةً مكتوبةً تتضمن سبعة أسئلة، طَلَبَ مِنِّي الجواب عليها، وكانت مُنَاولَتُهُ إِيَّايَ لهذه الأسئلة أَوَّلَ الدرس، فَأَخَذْتُهَا وَكَانَتْ شَغْلِي الشاغل عن الدرس، وقبل انتهاء الحصة؛ استأذنتُ من مدرس التفسير أن يَسْمَعَ لي بتلاوة الجواب على هذه الأسئلة، وكان قد سَبَقَ لَهُ عِلْمٌ ببعض مآدار، فَوَافَقَ عَلَيَّ أن يكون باختصار. وهامو الجواب عن كُلِّ سؤالٍ، وإنه لجوابٌ يَعْلَمُ اللهُ أَنَّهُ غَيْرُ وَافٍ بالمقصود تمامًا، ولم يُعْطِ الموضوع حَقَّهُ كما ينبغي؛ إذ إن الوقت الذي حَرَزْتُ فِيهِ الجوابَ لَا يَبْلُغُ ساعةً زمنية، وَكَفَاكَ أَنَّهُ حُرِّرَ أَثناء الدرس. ومع اختصاره كما قلتُ، فقد قرأته على مَسْمَعٍ من الجميع، فَجَاءَ موافقًا، حائزًا إعجاب الأستاذ والزملاء، والحمدُ لله.

أما زميلي صاحب الأسئلة؛ فقد طَلَبَ مِنِّي الجواب، وَأَظَنَّهُ للردِّ عليه؛ إلا أَنَّهُ كَمَسُودَةٍ، لَمْ أَتَمَكَّنْ من تسليمِهِ له آنذاك؛ ولكنني على يقينٍ من أَنَّ الزميل قد خَفَّ تَحَامُلُهُ، وَهَبَطَ غَلِيَانُهُ عَن ذِي قَبْلِ، وَأَرْجُو اللهُ أَن يكون قد وَفَّقَ إِلَى قراءة شَيْءٍ من كُتُبِ السلف الصالح؛ كتفسير ابن جرير الطبري عندما يَنْقُلُ أقوال أئمة التفسير من السلف، ومثل: صحيح

البخاري، ومسلم، وابن خزيمة، ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرهم من أعلام الدين.

فبقراءة هذه الكتب بإنصاف، ولطلب الحق، والأخذ به، تَسْتَيِّرُ البصيرة، وَيُظْهِرُ الحق، وَتَزُولُ الْغِشَاوَةُ التي علقَت بالأفكار؛ مِنْ سَمَاعِ أقوال المتكلمين، والمؤولين، والذين أَدْخَلُوا عَلَيْنَا السَّمُومَ الْفَتَاكَةَ فِي الدين والمعتقد، وراء ستارٍ مزيفٍ من العلم أو باسم العقيدة الأشعرية، وإنَّ الإمام الأشعري لَبَرِيءٌ مِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ؛ كَمَا هُوَ ثَابِتٌ فِي كِتَابِهِ «الإبَانَةُ عَنْ أَصُولِ الدِّيَانَةِ»، ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي يَرُدُّ بِصِرَاحَةٍ كُلِّ قَوْلٍ مِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ.

والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها: أَنَّ الْبَحْثَ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَوْ صِفَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَرَجَ عَنْ ظَاهِرِ النُّصُوصِ، لَا شَكَّ أَنَّهُ مَزَلَّةٌ أَقْدَامَ، وَطَرِيقٌ وَغَرٌّ، لَا سَبِيلَ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ إِلَّا بِالتَّمَشُّكِ بِالنُّصُوصِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْأَخْذِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الْمُعْصُومُ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَزَنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» الْحَدِيثُ.

وَلَا تَنْسَى - عَلَى ذِكْرِ التَّمَشُّكِ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - هَذِهِ الْغَلْطَةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا عَالَمٌ جَلِيلٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ؛ وَهُوَ «ابْنُ حَزْمٍ» فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامَ أَهْلِ الظَّاهِرِ، وَكَانَ مِنْ رَأْيِهِ التَّمَشُّكِ بِظَاهِرِ النُّصُوصِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْفُرُوعِ، وَمَا كَانَ أَجْدَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِهِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ وَآسَفَاؤُ!! تَمَسَّكَ بِالظَّاهِرِ حَيْثُ لَا يَجِبُ،

وَتَخَلَّى عَنْهُ فِي الصِّفَاتِ حَيْثُ هُوَ وَاجِبٌ.

فَمِنْ غَلَطِهِ: مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ فِي الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ (ص ٩٨ ج ٢ طبعة

عبدالرحمن خليفة)، فَقَدْ ذَكَرَ أَقْوَالَ الْخَلْقِ فِي الْإِسْتِوَاءِ، ثُمَّ قَالَ:

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ فِي مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ: هُوَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿عَلَى

الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: أَنَّهُ فِعْلٌ فَعَلَهُ فِي الْعَرْشِ؛ وَهُوَ انْتِهَاءُ خَلْقِهِ إِلَيْهِ،

فَلَيْسَ بَعْدَ الْعَرْشِ شَيْءٌ. وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الْجَنَاتِ،

وَقَالَ: «فَاسْأَلُوا اللَّهَ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ،

وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ». فَصَحَّ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ الْعَرْشِ خَلْقٌ، وَأَنَّهُ نِهَايَةُ

جَرَمِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّذِي لَيْسَ خَلْقُهُ خِلَاءً وَلَا مَلَاءً، وَمَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ

لِلْعَالَمِ نِهَايَةً مِنَ الْمَسَاحَةِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ؛ فَقَدْ لَحِقَ بِقَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ،

وَفَارَقَ الْإِسْلَامَ، وَالْإِسْتِوَاءُ فِي اللُّغَةِ يَقَعُ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ؛ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ؕ بَآيَاتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القَصَص: ١٤]؛ أَي: فَلَمَّا

انْتَهَى إِلَى الْقُوَّةِ وَالْخَيْرِ. وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ

دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ١١]؛ أَي: أَنَّ خَلْقَهُ وَفَعَلَهُ انْتَهَى إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ أَنْ رُتِبَ

الْأَرْضَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَبِاللَّهِ - تَعَالَى - التَّوْفِيقُ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَبِهِ

نَقُولُ؛ لَصِحَّةِ الْبَرْهَانِ بِهِ، وَبَطْلَانِ مَا عَدَاهُ. انْتَهَى كَلَامُهُ.

هَذَا مَا قَالَهُ ابْنُ حَزْمٍ - غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ - وَفَاتَهُ أَنَّ آيَاتِ الْإِسْتِوَاءِ جَاءَتْ

فِي الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصَالِيْبٍ: أَحَدُهَا: يَتَعَدَّى بِـ (عَلَى)، وَهُوَ يَفِيدُ الْعُلُوَّ،

وَالثَّانِي: يَتَعَدَّى بِـ (إِلَى)، وَهُوَ يَفِيدُ الْقَصْدَ، فَمَعْنَى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى

السَّمَاءِ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٩]؛ أَي: قَصْدَ إِلَيْهَا، وَالثَّالِثُ: هُوَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ

حزم^(١)، وَنَقَلْنَاهُ عَنْهُ أَنْفًا.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُمْنَّ عَلَيْنَا بِالْتِمَاسِكَ بِالْوَحْيَيْنِ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا طُرُقَ الْمُحَرِّفِينَ
لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

□ وإليك تلو كُلِّ سُؤَالٍ جَوَابٌ:

س ١ - تَدْعُونَ أَنْ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، فَأَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ؟
(ج) نحن لا ندعي ذلك من تلقاء أنفسنا؛ بَلِ اللَّهَ أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ، قَالَ
-تعالى-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].
ولما كان القرآن عربيًّا؛ فالصعودُ والرفعُ لا يكونُ إلا من أسفل إلى أعلى.
وهذا ما تدلُّ عليه اللغة العربية، وهي لغة القرآن.

وقال -تعالى-: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلْك: ١٦]. ونحن نعتقد ما
جاء به القرآن والسُّنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا
تمثيل. وهذا ما كان عليه السلفُ الصالح، وذلك طريق النجاة والسلامة.
أما ما يقوله المؤولون من أَنَّ قَوْلَهُ -تعالى-: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾
[المُلْك: ١٦] يعني: شأنه في السماء. فنحن لا نُسلم ذلك؛ بل إن ذلك
يستلزمُ زيادةً في القرآن، والزيادة لا تكونُ إلا حيثُ يوجد النقص،
والقرآن مُنَزَّهٌ عن ذلك، فكيف نَعْدِلُ عن الظاهر الصريح للنص، ونأتي

(١) أي: في قول الله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ؕ ءَايَاتُهُ حُكْمًا وَطَمَٰثًا﴾ [القَصص: الآية ١٤]. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ رَدُّ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَأْوِيلَ ابْنِ حَزْمٍ لِلْإِسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية ٥] بِانْتِهَاءِ خَلْقِهِ إِلَيْهِ.

بِحُشْوٍ فِي الْقُرْآنِ؛ لِنُصَحِّحَ بِهِ أَقْوَالَ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ!! وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَقُولَ
بِذَلِكَ أَوْ نُجَيِّزَهُ، سُبْحَانَكَ هَذَا بِهِتَانٌ عَظِيمٌ.

أَمَّا أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ؟ فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ؛ أَنَّهُ كَانَ
فِي عَمَاءٍ، مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ. هَذَا هُوَ
جَوَابُ الرِّسُولِ ﷺ لِأَيِّ رَزِينٍ، لَمَّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ
أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟. وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه.

هَذَا، وَنَحْنُ غَيْرُ مُتَعَبِدِينَ بِالْبَحْثِ عَمَّا وَرَاءَ الْغَيْبِ، وَلَا عَمَّا اسْتَأْثَرَ
اللَّهُ بِعِلْمِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ ضَرُورِيًّا لِأَخْبَرَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ
رَسُولِهِ ﷺ؛ فَهُوَ الْمُبْلَغُ لَمَّا يُوْحَى إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ دُونَ تَحْرِيفٍ، وَإِنَّ الْبَحْثَ فِي
ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِمَّا سَكَتَ عَنْهُ الرِّسُولُ وَأَصْحَابُهُ. بَحْثٌ فِي الضَّلَالِ، وَسَبَبٌ
لِلْوُقُوعِ فِي الضَّلَالَاتِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ، وَحَسْبُنَا مَا وَرَدَ بِهِ
الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ، وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ؛ فَهُمَا طَرِيقُ النِّجَاةِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «تَرَكْتُ
فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ»، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ
عَلَى الْحَبْجَةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ».

س ٢ - تَدْعُونَ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَاءً مُحَسَّوسًا؛ لَمَّا اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ هَلْ كَانَتْ السَّمَاءُ خَالِيَةً؟

(ج) وَكَمَا قُلْتُ: إِنَّا لَا نَدَّعِي ذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِنَا؛ بَلْ تَمَسُّكَ بِمَا
أَخْبَرَنَا اللَّهُ - تَعَالَى - بِهِ فِي كِتَابِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. فِي سَبْعَةِ
مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى مَعْنَى ﴿أَسْتَوَى﴾ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، نَجِدُهُ بِمَعْنَى:
اسْتَقَرَّ، وَعَلَا، وَازْتَفَعَ. وَلَنْ نَجِدَ لَهُ مَدْلُولًا بِمَعْنَى: اسْتَوَى. وَإِذَا اسْتَشْهَدْتُمْ
بِيبٍ مِنَ الشُّعَر:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ
مُدْعِينَ بِأَنْ «اسْتَوَى» هُنَا بِمَعْنَى: اسْتَوَى.
فَنَقُولُ: إِنَّ الْاِحْتِجَاجَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَتَى نُقِلَتْ عَنْ أَهْلِهَا
الْحَقِيقِيِّينَ؛ وَهُمْ عَرَبٌ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَأَعْنِي بِهِمُ: الْعَرَبُ الْجَاهِلِيِّينَ؛ فَهُمْ
أَهْلُ اللُّغَةِ، هُمُ الْحُجَّةُ، وَبِلِسَانِهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ.

أَمَّا الشَّاعِرُ الَّذِي تَسْتَشْهَدُونَ بِشِعْرِهِ، فَلَيْسَ بِحُجَّةٍ؛ بَلْ هُوَ مَوْلَدٌ،
وَلَيْسَتْ لُغَةُ عَصْرِهِ حُجَّةٌ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ؛ حَتَّى نَحْتَجَّ بِكَلَامِهِ.

وَقَوْلُكُمْ عَنَّا إِنَّا نَقُولُ: (اسْتَوَى اسْتَوَاءً مُحْسُوسًا). فَلَا نَذِيرِي مَاذَا
تَقْصِدُونَ بِنَسْبَتِكُمْ إِلَيْنَا هَذِهِ الصُّبُغَةُ اللَّفْظِيَّةُ؛ إِذْ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْمُحْسُوسَ هُوَ
مَا يَدْرِكُ بِإِحْدَى الْحَوَاسِ الْخَمْسِ، وَذَاتُ اللَّهِ - تَعَالَى - أَعْظَمُ وَأَقْدَسُ مِنْ
أَنْ نَذِيرَ كَهَا بِالتَّصَوُّرِ الْمُحْسُوسِ؛ سِوَى مَا سَمِعْنَاهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيَيْنِ، وَمَا
عَلَّمَنَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّا لَنُؤْمِنُ بِالصِّفَاتِ عَلَى
حَقِيقَتِهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا النُّصُوصُ.

فَنَقُولُ فِي الْاِسْتَوَاءِ: إِنَّهُ اسْتَوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمِيَّتِهِ؛ مِنْ غَيْرِ
تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.
وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ هَلْ كَانَتْ السَّمَاءُ خَالِيَةً؟

فَلْيَسْمَعْ لِي زَمِيلِي أَنَّ هَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ؛ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى بَلْبَلَةِ الْفِكْرِ
 واضطرابه، وعلى الجهل بالسؤال قَبْلَ الْجَهْلِ بِجَوَابِهِ، وَلَوْ صَحَّ أَنْ أُسْمِيَهِ
 سَوَالِ تَعْنِي لَوْصَفْتُهُ بِذَلِكَ، يَبْدَأُنِي أَجِدُهُ لَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْوَصْفَ.
 فاستواء الله على عرشه لا يلزم منه خُلُو السَّمَاءِ أَوْ عَمْرَانِهَا - مع أنها
 عامرة بالملائكة -، وقد ورد في الحديث: «وَلِكُلِّ سَمَاءٍ سُكَّانُهَا».
 وفي الحديث: إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ
 بِأَجْنِحَتَيْهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ - تعالى -: ﴿حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا
 قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سج: ٢٣] . وكذلك حديث
 المعراج فيه مَا يَشْهَدُ لَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ
 تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ، مع أن الله فوق
 سماواته مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، فَهُوَ بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ،
 وَقَدْ وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ؛ حَتَّى إِنَّهُ يَسْمَعُ دَيْبَ النَّمْلَةِ فِي الصَّخْرَةِ
 الصَّمَاءِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَإِنِّي أَنْزِلُهُ رَبِّي عَمَّا يَقُولُ الْجَاهِدُونَ
 عُلُوقًا كَبِيرًا.

س ٣ - أَيْنَ هُوَ الْآنَ: مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ أَمْ فِي السَّمَاءِ؟

(ج) الَّذِي نَعْلَمُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،
 وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ؛ لِذَا فَهُوَ فَوْقَ
 سَمَاوَاتِهِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَإِلَيْهِ أُنْجِهُ فِي صَلَاتِي وَدُعَائِي كَمَا كَانَ ﷺ
 يَفْعَلُ، فَقَدْ كَانَ يَدْعُو وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ؛ حَتَّى يَرَى بَيَاضَ إِبْطِلِهِ.

وحديث الجارية لما سألها ﷺ، فقال: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قالت: في السماء. قال: «مَنْ أَنَا؟» قالت: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قال: «اغْتَفِهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». أم تُريدُ أن تقولَ ما قاله غيرك مِنْ نَاقِشَتُهُمْ؟ يقولون: إنه ﷺ لم يُنَكِرْ عليها؛ لأنها جارية، وقد جازأها على قَدْرِ معرفتها. سبحانه ربِّي! لستُ أعلمُ لذلك معنى إلا الطعن في حقِّ المعصوم ﷺ، الذي أنزل عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

تُرى هل يُقرُّ الرسول ﷺ جاريةً على الخطأ، وهو في مقام التعليم والبيان في وقت الحاجة، وتأخيرُهُ لا يجوزُ كما هو معروفٌ في الأصول؟! لستُ أعتقدُ إلا أنه أقرَّها على الحقِّ لما نَطَقَتْ به، ولستُ أدري ما يقولون في حديث زينب؛ لما قالتُ لنساء النبي ﷺ: «زَوَّجَكُنَّ أَهْلَكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ مَنَبَعِ سَمَاوَاتٍ».

وأما الآن، ومتى وكيف؛ فلا نقولُ بشيءٍ من ذلك عن الله؛ لأن ذاته وصفاته أقدسُّ من أن نُكَيِّفَهَا أو نُمَثِّلَهَا.

س ٤ - مَهْمَا كَانَ كِبَرُ السَّمَاءِ فَهُوَ مُحَدودٌ؛ فَهَلِ اللَّهُ كَذَلِكَ مُحَدودٌ؟

(ج) هذا القياس والإلزام لا يَصِحُّ إلا فيما يتصوره العقل، أو ما يمكن إدراك كُنْهِهِ؛ واللَّهُ ﷻ أَجَلٌ مِنْ أَنْ نَتَصَوَّرَهُ أو نُذَرِكَهُ عقولنا، وَحَسْبُنَا أَنْ نَوْمِنَ بِمَا جَاءَ عَنْ اللَّهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، أو ما جاء عن اللَّهِ على لسان رسول اللَّهِ ﷺ، أمَّا التَعَتُّ ومحاولة القولِ على اللَّهِ بلا علم، فَلَسْنَا مِنْ أَرْبَابِهِ؛ بَلْ إِنَّ ذَلِكَ

من دسائس علماء الكلام، وأعداء الإسلام من الفلاسفة والزنادقة.
وليتنا تَمَسَّكْنَا بما تَمَسَّكَ به علماء الإسلام مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ،
وناهيك بمقالة الإمام مالك والإمام أحمد - رحمهما الله -: «الاستواء
معلوم، والكَيْفُ مجهول، والإيمانُ به واجب، والسؤال عنه بدعة».
وقالوا - أيضًا -: لا يَقُولُ في ذاتِ الله: أين، ومتى، وكيف. إلا شاكٌّ
في دينه، مُكَذِّبٌ لله ولرسوله ﷺ.

س ٥ - عندما تقولون: إنه في السماء. تنسبون له الجهة والإشارة،
وهي من صفات الحوادث؛ فكَيْفَ الخلاصُ من ذلك؟

(ج) أسلفتُ لَك أنَّا لم نَقُلْ ذلك اختِلَافًا وافتراءً؛ بل تَمَسَّكًا بالنصِّ
الوراد في ذلك من كتاب الله، وسُنَّةِ رسوله ﷺ، وتقدُّم بالتفصيل في
جوابنا عن السؤال الأسبق. وقال - تعالى -: ﴿قَدْ زَرَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي
السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. رَاجِعْ تَفْسِيرَهَا، وَسَتَجِدُّهُ في المقرَّر دراسته في
الكلية، وَارْجِعْ إلى حديث الإسراء والمعراج، مع كلام أهل السنة، وإذا
قلتُ: «أهل السنة» فأعني: علماء الحديث والسلف الصالح؛ لِعِلْمِي بأن
أهل السنة تُطَلِّقُونَهُمْ على الأشاعرة مقابل المعتزلة.

ثم لِيَسْمَحْ لِي الزميل أن أُنَاقِشَهُ في سؤاليه.

قلت: إننا باعترادنا عُلُوَّ الله - تعالى - فوق سماواته، ننسب له الجهة
والإشارة، وهي من صفات الحوادث؛ ألا ترى أنكم تَعْتَرِفُونَ بالصفات
السبع، فتقول: حيٌّ، سميعٌ، قديرٌ. فهل معنى ذلك أنكم تنسبون له
صفات تُشْبِهُ صفات الحوادث؟! كَلَّا؛ إِنَّ عُلُوَّ الله وَإِنْ لَزِمَ منه إثبات

الجهة، لم نُقَلْ به إِلَّا إيمانًا وتصديقًا للكتاب والسنة.
وقد عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جهة الدعاء والإشارة؛ بالوحدانية لله رَبُّ
العالمين في الصلاة، وليس بِلَازِمٍ عَلَى تسمية المخلوق حيًّا، وسامعًا،
ومبصرًا، وقادرًا - أَنَّهُ يُشَبِّهُ صفات الله - تعالى وتقدس -؛ فَاللهُ حَيٌّ دَائِمٌ،
وسميعٌ، وبصيرٌ، وقادرٌ؛ سَمْعًا، وَبَصَرًا، وَقُدْرَةً تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ؛ لَا
تُكَيِّفُهَا، وَلَا نَمَثُلُهَا بِصِفَاتِنَا؛ بَلْ إِنَّ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَأَصُولِ الْعَقِيدَةِ لَدَيْنَا
أَنَّ مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

س ٦ - أَخْبَرَنَا ﷺ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ. وَعَلَى
مَذْهَبِكُمْ: التَّأْوِيلُ تَعْطِيلٌ. فَإِنَّهُ إِذَا يَنْزَلُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ إِلَى جِهَةِ الْأَرْضِ،
فَيَكُونُ مُنْتَقِلًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَفَيَدُونَا.
(ج) نَوْمنَ بِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا».
فَلَا تُكَيِّفُ أَوْ تُنَمَثِّلُ نَزْوَلَهُ بِنَزْوَلِ خَلْقِهِ؛ بَلْ نَقُولُ: يَنْزِلُ نَزْوَلًا يَلِيْقُ
بِجَلَالِهِ، وَنَزْوَلُهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا نَزْوَلٌ ذَاتِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ إِذَا يَنْزَلُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ، فَلَسْتُ أَفْهَمُ مِنْهُ سِوَى أَنَّهُ
مَحَاوَلَةٌ لِرُدِّ النُّصُوصِ وَتَكْذِيبِهَا، أَوْ تَأْوِيلِهَا حَتَّى يَصِيحَّ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ
الْكَلَامِ، فَتَوَوَّلُوا النُّصُوصَ لِتُؤَافِقَ آرَاءَ الْمُخْطِئِينَ.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتابة قيمة على حديث النزول؛ لم يَدْعُ
شبهة لكم إِلَّا أَجَابَ عَنْهَا، فَيَا حَبِئْدًا لَوْ أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهَا.

وليس لكم بُدٌّ مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ: فَيَأْمُرُ التَّسْلِيمَ وَالتَّصَدِيقَ بِمَا جَاءَ فِي

الكتاب والسنة، والإيمان به من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ خصوصًا ما تعلق بصفات الباري - تعالى - . وإِذَا أَنْ تُؤْوِلُوا وَتُحَرِّفُوا، ويلزم منه نَقْصُ القرآن في رأيكم، أو أنه ليس بِمُحْكَمٍ، فَتُكْمِلُونَ نَقْصَهُ بالتأويلات والتعسفَات المصطنعة، هذه التأويلات التي تلجئون إليها خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ، وتَقْعُونَ - عَالِمِينَ أَوْ غَيْرِ عَالِمِينَ - فِي التَّعْطِيلِ.

والأولُ مِنَ الْأَمْرَيْنِ - وهو طريقُ النجاة :- أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ.

وَأَمَّا التَّأْوِيلُ عِنْدَنَا؛ فَهُوَ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَحْرِيفًا لَيْسَ بِتَعْطِيلٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ قَصْدُكَ تَعْطِيلَ النَّصِّ، أَوْ تَجْرِيدَهُ مِنْ مَعْنَاهُ؛ فَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ جَائِزًا.

س ٧ - نحن وأنتم مُتَّفِقُونَ بِأَنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١]﴾ . فَهَلَّا تَرَوْنَ وَجُودَهُ فِي السَّمَاءِ يَكُونُ مَقَاسًا بِالسَّمَاءِ، فَيَشَابِهُهُ فِي الْمَقَاسِ، وَهِيَ صِفَةٌ إِبْثَاتٍ لَا صِفَةٌ نَفْيٍ.

(ج) هذه الآية هي حُجَّتُنَا فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ مِثَالِيَّةِ خَلْقِهِ، كَمَا أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَهَا هِيَ حُجَّتُنَا فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْوَاقِعَةِ فِيهِمَا دُونَ تَعْطِيلٍ أَوْ تَشْبِيهِ؛ فَيَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نُؤْمِنَ بِالْقُرْآنِ جَمِيعَهُ؛ مُحْكَمَهُ وَمِثَالِيَّةَهُ، وَمَجْمَلَهُ وَمَبِينَهُ؛ حَتَّى لَا نَكُونَ مِنْ قَالِ اللَّهِ فِيهِمْ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] الآية.

وَحَسْبُكَ مَا ذَكَرْتُ عَلَيْهِ آيَةُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ؛

فَهِيَ تَنْفِي عَنْ اللَّهِ النَّدَّ وَالشَّيْبَةَ، وَلَكِنهَا لَا تَرُدُّ مَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ؛ بَلْ تُقَرِّمُهَا وَتُؤَيِّدُهَا.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِمَا آمَنَ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -، فَتُؤْمِنَ بِآيَاتِ الْإِسْتِوَاءِ، وَالْعُلُوِّ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالرِّضَا، وَالْغَضَبِ، وَالْكَلَامِ، وَكُلِّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ وُجُودَهُ فِي السَّمَاءِ يَكُونُ قِيَاسًا بِالسَّمَاءِ... إلخ. فَلَا أَسْتَطِيعُ اخْتِرَاقَ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ سِوَى قَائِلِهِ، وَقَدْ لَا يَفْهَمُهُ قَائِلُهُ؛ فَلَعَلَّهُ قَدْ نَقَلَ الْكَلَامَ نَقْلًا دُونَ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ، وَلَوْ لَا ثُبُوتُ ذَلِكَ؛ فَمَا وَجْهُ ارْتِبَاطِ الْمَقَاسِ وَالشَّبْهِ بِصِفَةِ تَقُولُ: إِنَّهَا صِفَةُ إِثْبَاتٍ لَا صِفَةُ نَفْيٍ. وَحَقِيقَةٌ؛ فَلَا أَدْرِي: هَلْ تَقْصِدُ بِصِفَةِ الْإِثْبَاتِ هُنَا مَدْلُولَ الْآيَةِ، أَمْ مِثَابَهَتَهُ - تَعَالَى وَتَقَدَّسَ - بِالْمَقَاسِ كَمَا تُحَاوِلُ الْإِزَامَنَا بِهِ؟!

وَلَعَلَّ مِنْ الْحِكْمَةِ الْإِمْسَاكَ عَنِ التَّمَادِي فِي مَنَاقِشَةِ هَذَا السُّؤَالِ الْمَفْكَكِ الْأَلْفَافِ، الرِّكِيكِ الْأَسْلُوبِ، الْمُتَنَافِرِ الْمَعَانِي.

وَحَسْبُنَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ نَبْرَاسًا نَهْتَدِي بِهِ، وَفِيهِمَا النِّجَاةُ وَالْفَوْزُ فِي الدَّارَيْنِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



فهرس المحتويات

- ترجمة المصحح ٥
- كتاب الحيدة ١٥
- شبهات والجواب عنها ٨٩
- غلط ابن حزم في تعريف الاستواء ٩٤
- الشبهة الأولى ٩٥
- الشبهة الثانية ٩٦
- الشبهة الثالثة ٩٨
- الشبهة الرابعة ٩٩
- الشبهة الخامسة ١٠٠
- الشبهة السادسة ١٠١
- الشبهة السابعة ١٠٢



تم الجمع والصف بمكتب الرضا للدعاية والإعلان

١٥ ش امتداد رمسيس بجوار وزارة المالية - عمارات صف الضباط - مدينة نصر - القاهرة

٠٢٣٤٢٨٨٢٩ — ٠٢٣٢٠٢٥٤ (٠٨٢)، محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١